

فوزية مهران

آية وبشرى



الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

مقدمة

لما رحل عنا رفيق عمري.. وجدتنى فى غمرة الأحزان أقول:
« لا أفرح بعدها أبدًا »

- ولا يخفق قلبى بسرور ماحيت ومهما كاست البشرى - وسط
الخطب.. وبين الخوف والجزع.. أحسست أن ظلمت نفسى - أقرر
ماليس لى به علم.. أقول ما لا يصح أو ينفع.. أهتف بما لا يجوز -
وأنطق بغير الحق..

- إن هى إلا زلزلة الموقف.

ورفعت وجهى إلى السماء « يارب أعنى »
عدت فتذكرت.

« لا خلاص ولا منجى إلا فى التوجه إلى الله.. والأنس به »
لا يغدو وحيدًا من كان الله معه.. وعلى أن أحرص على هذه
« المعية » الفائقة:

لا يخشى الوحدة من يذكر الله ويطمئن قلبه به.

لا يعود « فردًا » من يسلم وجهه إليه ولا يعقب لحكمه..

لا يموت من القهر من يأتي الله بقلب سليم.. ويعمل صاحباً..
وسأل فرجاً وفرقاً..

سبحانه وسعت رحمته كل شيء.. ووسع كل شيء علماً
يجعل الله له آية.. وحناناً من لدنه وعلماً..
ويجعل له نوراً ووداً.
هدأت لما تذكرت
تذكرت فأبصرت..
رطبت جوفى ولسان بآية بينة..

﴿ويشتر الصابرين﴾

- جاءني الآية بالبشرى -
تدفق النور على.. ربط الله على قلبي. عبرت إلى رؤيا مبصرة..
- قرن الصبر بالبشرى -
وهكذا آيات الكتاب الحكيم - هدى وبشرى للمؤمنين -
فيها العلاج والشفاء.. ومؤشر الراحة والطمأنينة.. ولمعة الخروج
من الظلمات إلى النور..
إقامة القرآن.. تعنى ترقية الضمير والوجدان.. ترك الخوف
والحزن.. تربية النفس إعادة صياغتها من جديد.. استلهاهم المواقف
والأحداث.. الموعظة الحسنة.. تقييماً للأشياء بمقياس الدين.. به
نسترد توازننا.. نمى سلامنا الداخلى والعام.. نقيم الميزان فى كل

ما يصدر عنا من معاملات، ونركن إلى حب الله .
 من يحبه الله أكثر.. يختبره دوماً وبتليهِ ليظهر معدنه.. ويصقل
 قوامه.. يصنعه على عينه.. ويوحى إليه بسلاح الصبر الجميل..
 أسلوب «أولى العزم من الرسل»
 ولا يذرنا أفراداً في ساحة الصراع..
 تمدنا آياته بالجلء والوضوح.. وتعمل فينا باستمرار.. تهيئ لنا
 فرصة الاختيار.. وتحيثنا وسط الملل والخطوب كتداعى المعانى..
 ولحظات التنوير وبشرى الاكتشاف والإدراك.
 فإذا الشدة تشد أزرنا، وتثبت أقدامنا.. وتعدنا للجهاد..
 وفي صوء هذه المعرفة يكون التحول.. والتطهير.. والتطوير..
 ندرك أن علينا الاحتمال.. والصمود.. والنهوض من جديد..
 نحمل الحزن دفعة خلاقة للاستمرار والعطاء.. وتخفيف عناء وشقاء
 الآخرين..
 غارس الصبر الجميل - حيث لا شكوى فيه - ونقوم للعمل
 الصالح، ففيه نفع للناس.. ودفء ومشاركة.. وفيه عزاء كبير.
 نتساعد بالحب لتسع دائرته للناس أجمعين..
 نغرس بذرة.. نعلم طفلاً.. ننهض بواجب مساعدة ومعونة..
 يعود الصبر نبيلاً وجميلاً
 وتأتينا بشرى دائماً.. بمدنا بمعجزة الشروق.. وبداية ساطعة كل
 حين..

ووعد بالنصر والعزة والفوز المبين.
الفرحة لا تحب في القلوب المؤمنة أبدًا.
ومن منا لا يخفق قلبه لقطرة ندى تعانق بتلات زهرة واعدة..
من لا ينشرح صدره أمام كلمة طيبة.. رؤيا صادقة.. لمسة
دفة ومودة.. بسمه وليد لا ينطفئ شعاع السور الداخلى.. يظل
يتصاعد من الأعماق، مع الالتزام بالعمل الصالح، والاهتمام
بالآخرين.. والسبق إلى الخيرات.
حقًا يومًا ما يرحل الأحياء..
ولكن يبقى الحب.. ويبقى السعى والطريق.. وموعد باللقاء
بهيج.

تعلق نظر الصغيرة ب..
عزف ما يؤرقها.. ويؤجج الصمت لديها.. حرقه السؤال..
قلت أعيد التلاوة عسى أن نجد مخرجًا لما يصنيها..
﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء
ولكن لا تشعرون. ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع
ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾.
سرى في الغرفة روح جديد.. صار الهواء أرق وأنقى.. نظم
إلهي اهتزت له الجدران - نعتصم بالصبر الجميل - ولنا البشرى -
أضاء وجه الصبية.. تواصل بداخلها العزف المقدس.. تصاعد النور
الداخلى الكامن لديها - في مرحلة النقاء والبراءة والوسع -

- قالت فجأة - وكأنها تتخفف من حملها -
- كل ما يأتي من عند الله فهو خير؟
- هززت رأسي أن نعم - وقبل أن أفتح فمي لأزيد -
- قالت : حتى الموت؟
- الموت قدر بيننا .
- سنة الله في خلقه .. نولد .. ونموت .. ثم نبعث من جديد
- الله الذي خلق الموت والحياة ليلبوا أننا أحسن عملا - إن هي
- إلا رحلة كتبها الله لنا . منه تبدأ . وإليه تعود وأماننا حرية مسيحة
- ما بين البدء والرجوع .
- وهبنا هداية العقل والدين ..
- وأمدنا بمنهج العمل الصالح .. والعيش النبيل ..
- رحل عزيز علينا - وإنا لله وإنا إليه راجعون -
- ويبقى وعد اللقاء ممتدًا .. وموعد النعم قائمًا .. حاء مواعده .
- والله لا يؤخر نفسًا إذا جاء أجلها -
- ومنذ البدء رحل الأحبة والشهداء والمجاهدون ..
- وينفسي أنت يارسول الله ..
- وشجرة الإنسانية يانعة ومورقة بإذن ربها -
- يستوى من بينها أئمة وعلماء .. ثوار ومصالحون .. ونساء
- صابرات .. ويبقى دائما الطريث .. ومحبة في الله .. وجهاد في سبيله ..
- فوزية مهران

لو كان البحر

البحر يمد بي .

● يعلو رغوهُ .. تحب خيوله البيضاء وتستيق بلسع السوجد - قاموس البحر - لدى .. واسكب إلى الأعماق واحتاحنى التسوق ..
فيض من الذكريات .. والرؤى الجميلة ..
يرأى لى وجهه بين الأمواج .. تقيًا .. نقيًا .. رائقًا .. يفيض
الدمع من عيني .. أتشبت «بمجاز الصبر» .. ألمس الأنس بالله ..
أتلو آيات من الكتاب، تأتي كلمات الله رابية ..
موحية .. تبرد الجوف وتربط على القلب وتنزل بردًا وسلامًا ..
فى عالم يموج بالمأساة .. يفيض بالحزن .. ينذر بالانفجار ..
ويصخب بالعراك .. لا نركن أبدًا إلى الفرار .. نعمل على تثبيت
القلوب، والأقدام نشبت بكلمات الله .. نستعين بها .. نغوص
داخلها .. نستلهم نهجًا ومخرجًا .. وهى - من قبل ومن بعد - قائمة
باقية .. تهيب بالمجاهدين أن يتقدموا .. ولجنود الحق أن يسيروا .. أن
يطلعوا ..

- وأن لو استقاموا على الطريق ستكون الغلبة لهم والعزة ..
ومهما يكن الأمر لا يأفل الأمل أبدًا .. ولا يفقد الجهاد أو
الصمود فاعليته أردد ما يحضرن من الذكر ..
أتلو كلمات مبينة .. ومبصرة .. أقرأ ..

وجاءتني الآية بالبشرى .

﴿قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر
قبل أن تنفذ كلمات ربي﴾

في البدء كانت كلمات الله هي مفاتيح العلم والحكمة والمعرفة .
كلمات عظيمة الجدة .. دائمة النضرة .. ريانة العطاء .. مورقة
ومثمرة ولا تفرغ أبدًا .

ولو أن ما في الأرض جميعًا من شجر أقلام - والبحر يمه من
بعده سبعة أبحر - وكل مسطحات الماء مداد .. ما نفذت كلمات
الله .

أردت النفاذ في معنى - لا تنفذ أبدا .
أى أنها محيطية بكل شيء - وعلمه يسع كل شيء - تهب علمًا
وحكمًا ودفنًا

هي جوهر العلم .. وإحاطة العلم .. ووسع العلام .. وهي لذلك
لا تنفذ أبدًا .

أتتني فكرة ملهمة .
كما جاءتني الآية بالبشرى .

- ذلك أننا كلما نعيد التلاوة نكتشف معنى جديدًا.. وتتجسد لنا رؤية « طازجة » معاصرة.

نتبين للموقف بعدًا آخر.. وعمقًا أكبر.. وتبرق لحظة لم نكتشفها من قبل. وعيت معنى أن تكون لكل زمان ومكان. كلمات نتلوها فتبحر بنا إلى آفاق فسيحة.. ومدن بعيدة.. وأقوام غابرة.. وتفاعل وتصور كلما أعدنا التلاوة من جديد. وهى بذلك لا تنفذ أبدًا.

تقطر في النفس عذوبة.. وتمدك بنور الهداية.. وتجذب إلى سواء السبيل.

وفي كل العصور تومض برؤى مستقبلية مبهرة.. وعلى مختلف الأقسام والأزمان والقوى..

نقرأ.. وفي كل مرة نكتشف معنى لم نلتفت إليه من قبل.. ويرق خاطر لم نكن نلاحظه.. ويهزنا بيان غاب عنا إعجازه في قراءة سابقة.

ويتبدى الإيقاع موحياً.. ومؤشراً متصللاً.. ولا ينفذ الإيجاء أبدًا. كلمات مصورة ومجسدة.. نابضة بالحركة.. وبالحياة زاخرة، وتليق بكل العصور.

- علم بها آدم الأسماء كلها - مفردات حب ومودة ومشاركة ترى بها نفسك فردًا فائقًا.. وجمعًا متراصًا متآخياً.

كلمات تهب بسطة في العلم والعقل، وتجعل النفوس تشرق بنور

رهبها رباطاً للمحبة والقرين.. تجعل لنا ودًا وحكمًا.
إشعاع دفاء وسط دياجير العتمة وظلمة القسوة.. وحدة الصراء
كلمات باقية.. عاملة.. قديمة.. جديدة.. مفعولة وفاعلة.. تجدر
من حولك ومن بين يديك، شاهدة وحاضرة وواعدة.
«هؤلاء الكلمات» - كما سماها رسول الله.. وأشار إليها بإشارة
«العقلاء» لأنها من عند الله.. زهى عين الحكمة واليقين - وتنزلت
تبييناً لكل شئ..

في البحر يرينا الله من آياته الكبرى..
بصائر لتهتدى.

ياخذنا البحر بقوة.. يشحذ منا الفكر.. ويوقظ قوى التسامل
لدينا.. يلمس مياها الجوفية العميقة.. يجعلها تهتز وتموج بالحركة..
في البحر تغمرنا كلمات الله.. وتتجلى قدرته.. وتجيئنا آيات بينة..
وضرب الله المثل في كتابه بالبحر دائماً.. في مواضع كثيرة ومتعددة..
عند اشتداد الكرب.. والدعاء الحار بالنجاة. والجزع من الغرق..
بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج.. وريح قاصف.. ثم يحملنا على
ذات ألواح ودرس.. لنبتغى من فضله. ونأكل لحماً طرياً.. ونستخرج
حلية غالية.

ويلفتنا إلى بديع صنعه وإعجاز قدرته.
«مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج
وجعل بينهما برزخاً». تذكرت

ما الحياة الدنيا إلا برزخ.. الدنيا بحر. والناس مسافرون.
دروب كثيرة.. وهضاب ويقاع خلجان وجزر مهجورة.. وشطآن
مزدانة.. وثمة طريقان.

سبيل للعيش الطيب والإقامة النبيلة.. والذود عن كل ما هو
حق وعدل، وسبيل للشر والغل وعمل السوء.
لم يتركنا الله الرحيم هداية العقل والفطرة..
تنزل علينا الكلمات..

وكلمات الله خير زاد.. نفرق بها البحر والطوفان..
بوسعنا نجعلها «رحلة المشتاق»

ألا نشتاق.. إلى العلم.. للمعرفة.. والحكمة ونور اليقين. غاية
المشتاق العمل والمجاهدة.. والصبر على الابتلاء والمصابرة.. محاولة
التغيير.. واتباع منهج الاستقامة والخير.

السعى وتقديم العون للآخرين بحبة الناس وخدمتهم.. من أجل
أن يكون للرحلة معنى.. وقيمة.. وحضور حقيق وحياة.

نقول فيها منذ لحظة الوعي الأولى - باسم الله مجربها ومرساها -
نجعلها - مدخل صدق ومخرج صدق..

علينا فيها بالمواجهة.. والثبات لا نولى الأديبار أبدًا.. ولا نفر
حذر الموت.

فلن نلبث فيها إلا يسيرًا.. ولن نمتع فيها إلا قليلاً..

أولى بنا الصلاح والإصلاح.. والتزام جانب الحق.

لا يجب أن نغفل عن ذكر الله .. لاننى عن تسيحه ..
وفيض كلماته - لا ينقذ أبداً - بها نحيا حياة طيبة .. ونحس
أداء عملنا .. ونجعلها أسلوب عيشنا .. وتحقق معجزة النجاة لنا ..
فى البحر تحمد الله حاضراً - عرشه على الماء - نصنع الفلك
بوحيه وبأعينه .. فإذا غشينا الموج .. وتجمعت نذر الخطر .. دعونا
الله مخلصين - لا ندعو إلا إياه ..

وعمد لنا دائماً يداً حانية .. تحملنا فوق الظلمة .. وتفرق بنا
الشدة .. وتفرج عنا رياح الغضب ..

وتعود تجرى بنا بريح طيبة .. وتحمد منا «مقتصد» .. وفينا من
يمجد بآيات الله - بعد الدعاء .. والاستجابة ..

دعوت ..

«رب نجنا من قلب الحوت .. ويقطع من الليل مظلاً .. اللهم
اعصمنا من الخوف .. وألا يحاط بنا .. لا تمكن منا .. ولا تجعلهم
يصلون إلينا .. وثبت قلوبنا» تذكرت :

حقاً وما الحياة الدنيا إلا برزخ .. مرفأً يجرى فيه الاختبار ..
ساحل يقوم عليه الابتلاء .. وتحمل مسؤولية الاختيار ..

كل إنسان ينتقى أدواته .. يتخير وسائله .. يحدد موقفه .. ويتجه
شطر غايته .. يرسم لنفسه طريقة السير .. ومسار الإبحار ..

يعد الخرائط .. ويستعين بالكتب سبل الهداية ميسرة .. والآيات
مفصلة .. والقصاص التى تتلى علينا واضحة المغزى والدلالة .. توجد

فرصة للتأمل .. للتبصر .. وإدراك العاقبة .

حقًا - ظهر الفساد في البر والبحر - واستشرى القتال .. وعربد الشر هائجًا .. ولكنها منذ البداية .. معركة .. صراع .. مشقة وجهاد .. والحياة جديرة أن يحياها .. ونجاهد من أجل أن تكون عادلة .. وستجد وعد الله قائمًا ..

البحر يمد بي

تخب الجياد البيض وتعلو .. ساحة السباق والفوز أمامها واعدة أتابع حركة الموج .

تتابع .. تلتقي .. تذوب حبة وشوقًا .

حلقات متصلة .. وميقات تغيب فيه .. تغشى .. تعود تلملم قطراتها تقوم متدافعة .

حركة البحر .. هي نفس حركة الكون .. رقصة الحياة والموت .

غاية السعى والتوهج والغناء لدى المحبوب .

حركة البحر .. هي النغمة الأساسية .. والحركة الرئيسية في

الكون، مثلما «يبدأ الخلق ثم يعيده» وهى ذات الحركة، نفس الإيقاع .. ووقع حيويته .. ورجع فعل (كن فيكون) .

نجيء .. يشتد عودنا .. نستوى .. تهتدى أو نستكبر .. نكون

عاملين أو مفسدين في الأرض يميئنا الموت بعد حين .. ويوم الفصل نبعث من جديد .

الدنيا محددة الأجل .. ساعتها محتومة، براعتنا أن نجعل النرحلة

جميلة.. مبدعة.. نقيم كلمات الله.. نصوغ بها أنفسنا وحياتنا..
نكون وهى شيئاً واحداً.

نتبع آية ﴿لو كان البحر﴾.. تبحر بنا إلى غاية الرحلة..
﴿فن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً﴾.

وهى ذات الفكرة الرئيسية لحركة الخلق والوجود.. بين أن يبدأ
الخلق ثم يعيده العمل الصالح إذن هو الشراع.. وطوق النجاة..
وواعد الفوز المبين.

فى هذه الدورة علينا أن نعمل صالحاً..

فترة الزمن المتاح لنا.. إبان الاختبار.. يجرى الابتلاء ليرانا أياً
أحسن عملاً.. وحتى لا تكون حياتنا عبثاً. وقيامنا بسلا جسدوى
وقيامتنا خزيًا وخسراناً.

علينا أن ندرك غاية وجودنا.

ونعمة حرية الاختيار..

ذلك أننا بين اختلاف الليل والنهار.. ودوران الأرض.. ودورة

الزمن، العمل الصالح هو الزاد.. والهدف ووجه النضال.

الحركة بين جعل الشمس ضياء والقمر نوراً.. وتعلم عدد السنين

والحساب تتفجر ذرات حياتنا المحدودة.. وعلينا أن نمسك بها نشحنها

بطاقة طيبة.. نستثمرها.. نضيفها لرصيدنا.. نثرى بها أيامنا.

نزيدها جلاء ونوراً.. ونجعلها مشعة ونافعة.

فى الزمن المتاح لنا.. وأياً كانت شدة الاختبار.. وحدة المواقف

وقسوة الطريق.. وفقد الأحبة.. علينا بالسعى والجهاد.. والانساق
مع حركة الكون.
في الدورة اليومية.. وعلى مدار العام. نكون النماء والاشتياق
والعطاء. يكون سعينا الخير.. وخطونا الحق.. وموقفنا إقامة العدل.
نعى ونبصر ما تنطق به كلمات الله.
نصت لصخب البحر.. وصفق الريح.. وعويل الظلم.. وخطر
المتعبين ووقع أقدام الجياع - ثقيل الأحمال - نحاول أن نتدبر
المعنى.. نعد للعمل.. نرابط للجهاد.. وأيا كانت الرحلة شاقة
وعسيرة.. يجعل الله لنا نوراً.. ويرينا من آياته - وكلماته لا تنفد
أبداً..

له الأسماء الحسنى

«هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى» .
أدعوه بها . . أرطب لسان وجوفى بذكرها . . الأسماء التي ذكرها
لنا . . وعلمها آدم منذ البداية كلها . . وأودعها خلقه .
أستعين بها . . أذكرها بكرة وأصيلاً . . قياماً وقعوداً . . أناحيها . .
بها أحيا وعليها أفضى . . وأحسن بها نطق وخلق .
أذكرها جهراً وخفية . . أنطقها تضرعاً وخشية . . أقولها بحسب
وشوق . . ومع استمرار عملية التذكر والتأمل . . تدبر المعنى واكتشاف
مراميها . . اكتشفت عملاً باهراً . .
عندما تصير الأيام صعبة . . والمسيرة عسيرة . . وتتجمع نذر
القلق . . نلجأ إلى ذكر الله . . ندعوه بأسمائه الحسنى . . تنزل معانيها
علينا برداً وسلاماً . . ننفذ من قدرتنا المحدودة . . إلى قدرة عالية . .
وقوة منيعة . . تذهب غنا الريح العقيم وتنجلي أمامنا سبل السلام . .
يصلح الله بالنار ويهدى إلى التفكير المستقيم .
ذكرها الله لنا . . وأكدها . . وختمت بها الآيات . . وكانت

الوفقات المبهرة .. والذرا الفائقة .. لتلفتنا .. وتؤكد لنا المعنى .
وتثبت منا الفؤاد .: وكان ﴿عليًا حكيمًا﴾ ، ﴿عليًا كبيرًا﴾
﴿عفوًا غفورًا﴾ ، وكان ﴿على كل شيء شهيدًا﴾ .
تعددت أن التصق بها .. أسماء الله الحسنى .. عرفها لنا لنعلم أنه
«قريب» .. «ومجيب» ..

تعلمت أن أقرب منها بشوق وحنين .. أدنو بجلال وهيبة ..
أندل بين نورها .. أركن إلى ظلها الظليل .. ووسع عبتها ورحمتها ..
علم الله آدم الأسماء كلها .. منذ البدء .. وميزه بذلك على
المخلوقات كلها .. حتى الملائكة المطهرة - لكنها ذات علم محدود ،
والأسماء هي المسميات .. العلم الحقيقي الذى ندرك به المعلومات ..
ميزة العقل .. ونعمة الإدراك وحرية الاختيار ..

القدرة على التأمل .. والتدبير .. نفحات من روح الله .. والنفحة
المقدسة من لدنه وإضفاء علينا من صفاته لنسوق أنه السير ..
الكريم .. قيوم يدبر الأمر .. وطوى لمن جعل الله وجهته .. والعمل
الصالح بغيته .. ونفع الناس غايته .. طوى لمن تواصل مع الله ..
وأمسك بحبله المتين وانضم إلى عقده المنظوم .. وجعل ذكره وتسيبحة
عبادة وعملا وجهادًا فى سبيله .

والله يمن على عباده .. يجعل لهم وذا . وطريقًا يستقيمون
إليه .. ومعراجًا للصعود والتألى بصفاته وجلاله .
يفتح أمامهم سبل الفرح والبهجة والرجاء ..

يقول تعالى : ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه
فجعلناه سمياً بصيراً﴾.

ياسبحان الله في آية واحدة، يذكر الإنسان : من أى شيء خلقه
﴿من نطفة خلقه فقدره﴾ يذكره بالبداية الضئيلة . . ضالسة
النشأة الأولى . . لكنه يرتفع به ليكون له ذات صفاته جل وعلا . .
يصل ليكون هو الإنسان : سمياً بصيراً . .

إذن لا حدود لقدرة الإنسان . إذا صاغ نفسه بالدين . . ونبل
العقيدة . . وتمثل لنفسه صفات الكمال والجمال . . وسلك سبل
السلام . . وتميز بالعمل الصالح المتقن . . والقول الحسن المنزه عن
المهوى . . فإنه يرفع من مستواه حقاً، ومستوى الحياة ذاته ويصل
بنفسه إلى آفاق عالية من المجد والحكمة والسعة .

من تجربة صديق لنا . أنه أصيب فجأة - في أيام نحسات .
وبعد أنباء عامة محزنة - أصيب بانفجار في المخ .

بعد طول علاج ومعالجة وجد نفسه في حالة يرثى لها . . نطقه
ثقل . . ولسانه تناقل . . وضاعت منه الكلمات . . وهجرته قدرته على
التعبير المميزة .

في لحظة ومضت حياته كلها أمام عينيه . . شريط سريع الأحداث
متتابع اللقطات . . صديقنا كان يؤمن منذ البداية أنه جاء إلى الحياة
ليقوم بعمل عظيم . . يؤدي مهمة نبيلة . . لا ليحيا حياة سعيدة أو
ناعمة .

ويرغم أن الله حباه بسطة من الرزق وسعة المال والجاه .. إلا أنه اختار الطريق الشاق .. وتعود على المصاعب والمتاعب وجولات الفكر الخطرة والمروعة.

ماذا يفعل الآن وقد أخذ الشلل يحيط به .. ويحاصره .. والزمن يمر بطيئاً .. لزجاً متثاقلاً .. ممنوع من الحركة .. والقراءة، لا يستطيع مجرد الكلام ولا التفكير خلق مقانلاً .. كانت الأشياء يمكن أن تقدم إليه على صحاف من الذهب لكنه يهوى الاكتشاف والمغامرة .. والسعى وراء التقدم واصطياد الأفكار .. وغزو النظريات الحديثة والفلسفات المتطورة.

كان مؤمناً في أعماقه .. يمتت اليأس والاكتئاب ومشاعر الشفقة . ماذا يفعل في تلك الوحدة الاجبارية .. والفراغ، الإلزامي وضرورة الخواء والانعزال وتذكر الله.

دعاه بحرقه ومودة .. تبتل إليه بأسمائه الحسنى .. تذكر « القادر » فامتلاً بنور اليقين والثقة ..

ذكر « التواب » هدأت نفسه واطمأنت ..

« الكبير » له القدرة والقوة وهو أكبر وأعظم ..

صار الدعاء والذكر شغله شاغلاً .. فشمله الأانس بالله . وغمر

نور ومنعه .. برق من بين خواطره اسم « المانع » .

سبحان الله .. كيف به المانع وهو « الرحيم » .. « العفو » .

حاول أن يركز تفكيره .. يعالج تعثر ذهنه .. وتشتت صور

مخيلته.. صمم على التركيز والتفكير..

«المانع» كلمة جامعة.. مانعة يمنع الناس من شرور أنفسهم،
قد يمنع عنه صحته في هذه الفترة وعافيته.. وكان يضحج بالحياة
والنشاط والقوة - لعله يتذكر.. يبدأ قليلا ويفكر.. تشعب مشاغل
الدنيا.. ويبقى مع الله.. بدأ التعرف على الاسماء من جديد..
أخذ يطيل التطلع إلى السماء، جاءته الفكرة كالوحي أن
«الإلهام».

أسماء الله الحسنى..

تكون بداية زرع الكلمات في ذهنه مسن جديد.. تعلمها..
نطقها.. تأمل معناها.. أحس أن نبضات الفكر أخذت تعمل..
ومركز الذاكرة ينشط وتتداعى المعاني والكلمات يقول: كأنما كان عقلي
صفحة بيضاء ملساء، بدأت عليها النقش من جديد وبأحرف من
نور.

أهتف بالاسم.. وأظل أكرره وترطب لسانى بالذكر بعد عشر
النطق أصبحت سيرة الكلمات.. وأحسست بفرح عارم.. وخفة
كنت أجوب أرجاء الدنيا والسموات السبع وأفق النور.. ولا أشعر
بهمود أو ثقل.. وبدأت مرحلة جديدة من التدريب.
أتأمل المعنى.. وأتدبر أغواره، وأطلق الخيال والتصوير.

«المتين» أى شديد القوة. أعلى مراحل القوة والقدرة.
الشدّة والصلابة.. تتداعى معها كلمة «حبل» نعم.. حبل الله

المتين.. عندما نتعلق به نزداد قوة وصلابة وقدرة على الاحتمال.
نثرى قدرتنا.. نضاعفها.. ترتفع بها لتكون مستنيرة بقوة الله وعزته.
تمت مرحلة غرس الكلمات. جعلها الله «بصائر».
بدأت صفحة الذهن تشرق بالمعاني.. بالمسميات المتصلة.. بمدد
من السماء والإلهام.
وكان الشفاء..
إنه الطريق الحقيقي للتقدم.. للارتقاء..
نسلم الوجه إلى الله.. نرتقى سبل السلام.. نسعى تجاه أسمائه
الحسنى وصفاته العلية، ذات الجلال والكمال.. حيث تكون لنا العزة
والمنعة والقوة.

الميزان

﴿الرحمن﴾

تلك هي النعمة الأساسية في قصيد الكون والخلود..
وحناناً من لذه ورحمة.. ويذكره تطمئن القلوب..
تشف الكلمة حتى لتحلق بنا في الأفاق بين قم النور..
حيث العلو والارتقاء.. العزة والسمو.. والشوق الجميل..
الرحمن سبحانه كتب على نفسه الرحمة.. وسعت رحمته كل
شيء..
وتأق بعدها الآيات متابعة.. متسقة.. مفعمة بالحب..
مترعة بالود الرحيم.

﴿علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان﴾

عزف سماوى فريد
متاليات منظومة نورانية
ثلاث جمل موسيقية.. تكون كل منها نغمة مزدوجة.. تتصاعد

بنا الى الأفق الأعلى.. تعود وتنساب إلى عمق الإنسان قسوة
نظرة.. تبلغ «قاموس البحر» لديه.. تحرك مياهه السداحية
العميقة.. تتدفق في جوفه وتتصل بنبع النور..

ينتشر أريج العزف المقدس.. تتجلى حركته.. تستبِق إلى
الخيرات.. تتبدى آلاء الله.

يرينا آياته في الأنفس والأفاق.

بشرى تعلم القرآن تستبِق مع خلق الإنسان.

وكانها «ماهيته» مقدمة على وجوده.. حكمة الخلق فيه.. وغاية

صنعه وعمله وجهاده. من آيات رحمته أنه علم القرآن..

﴿تبييناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾

القرآن.. القراءة الواعية المستنيرة في صفحة الوجود والخلق..

التأمل والتدبر لأحوال الناس والكائنات..

الاستدلال والعظة.. قياس المواقف والأحداث.. استلهام

السلوك القويم.. القدرة على ضبط ومجاهدة النفس..

القرآن.. منهج حياة.. أسلوب للعيش النبيل.. ثراء للحياة

الدنيا والآخرة.. خلق عظيم.. سلام مع النفس وجماعة المتقين.

وكما يقول الرسول الكريم: «القرآن لا تنقضى معجزاته أبداً..

ولا يخلق على كثرة الرد».. أى لا يبلى جديده.. ولا يتوقف كشف

الحقائق المبهرة فيه.. واكتشاف المعاني الواسعة الموحية لديه.. على

كثرة تردد الأنظار إليه والتقاء العقول به.. وعلى امتداد العصور.

وطوبى لمن يكون أسلوب القرآن.. ويسلم ليصبح والقرآن شيئاً
واحداً. عمله وخلقه.. وحكم القرآن.. هو بذلك يصل إلى قن
تفوقه الإنسان.. وتألقه النفسى والاجتماعى:

وتتفتح قواه الكامنة.. والطاقت المبدعة لديه

﴿علمه البيان﴾ خلقه فى أحسن تقويم.. فضله وميزه على
سائر المخلوقات.. جعله ناطقاً.. علمه الأسماء.. دربه على التعبير
والإنصاح عما بداخله.. زوده بكل قوى التمييز والاختيار.. يبين
بالكلمات ما يريد..

- وكلمات الله لا تنفذ أبداً - واللغة هى وعاء الفكر.. واعتياد
اللغة يؤثر فى الوجدان.. وحسن استخدام اللغة تدريب على التفكير
المنظم والمشاركة، والانتقال بعدها من مرحلة الفكر الى العمل.
جعله الله يفكر ويعقل ويوازن بين الأشياء ويصل إلى المعرفة
والحقيقة. نصير بالقرآن أكثر حكمة وعلماً.. يسدلنا على الطريق
المستقيم.. وأسس الحياة الطيبة.. يؤتينا به الله خيراً كثيراً.. نثرى
تجربتنا.. ونزيد من قدرتنا وقوتنا.. تزداد حياتنا دفئاً وجمالاً.
فى نور القرآن والعبرة المستفادة منه.. ومن عنابة المكذبين
والتجارب المتباينة لخلق أقدمين.. وأقوام غابرين نستطيع ان نتعلم
ونبصر ونتزود بالتقوى.

وعلى ضوء الدراسة المستفيضة المتأنية لآيات مينة.. مفصلة
نقص عن البدء وتمتد حتى مواقفنا المعاصرة.. وعلى نهج الأنبياء

والصالحين.. واتباع جنود الحق والمصلحين نستطيع أن نقسم. بنساء
حياتنا.. وصياغة خلقنا.. وتدريب ارادتنا لاختيار الموقف الحق
والجدير بإنسانيتنا.. والعمل على نفع الناس.

﴿والسماء رفعها ووضع الميزان﴾

سبحانه جعل رفع السماء كرفع الميزان..
- والسماء بناء - وبحنو بالغ عطف عليها إقامة الميزان..
هذه النغمة المزدوجة والتتابع المعجز - مثل كفتى ميزان - تصل
بنا حتماً إلى ضرورة العدل الذى به تمام الاستقامة.. وحمية التوازن.
لتأمل التناغم والثوافق الجميل بين السماء رفعها ووضع الميزان.
فيها يقرأ الإنسان قدرة الله.. يقيمها الله على ميزان دقيق تجرى
عليه أمورهما وتتألق ببديع صنعها. سبحانه يدبر الأمر.. يفصل
الآيات وخلق كل شئ فقدره تقديراً.

يريد الله لينبئنا بشئ.. يجذب انتباهنا بشدة. ولكى تتجسد
أماننا الصورة.. ويبرز لنا المعنى.. جاء - بواو العطف - ذلك
الحرف العذب الموصل للدفع والقربى، وأواصر الارتباط والمودة -
فيجمع بين النغمتين على نفس الدرجة من السلم الموسيقى.
نسلم وجهنا إلى السماء.. نتأمل ملكوتاً علوياً منظماً.. السماء
مرفوعة بغير عمد زينة للناظرين.. تظلل الناس أجمعين.. ولا تسقط

كسفاً على الكافرين والمستكبرين - وكأنما ميزان هائل - غير مرئ
وتراه قائماً - وليقوم الناس بالقسط.
دقة حركة النجوم والكواكب.. واختلاف الليل والنهار..
والشمس والقمر - كل في فلك يسبحون.. ما ترى في خلق الرحمن
من تفاوت أو فطور.
كل شيء بقدر وبحسبان..
دعوة لأن يقيم الناس أمور حياتهم في ظل هذا الميزان القائم
بالعدل.

﴿قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو

الوالدين والأقربين﴾

بشرى للمؤمنين أن يكون التزامهم الحق والعدل.. والشهادة على
النفس أو الوالدين وذوى القربى.
صورة مجسمة ليكون محور حياتنا العدل.
العلم والمعرفة وإعمال العقل وهداية الدين كلها أدوات إقامة
الميزان والوزن بالقسط.

«الحق» علمنا البيان لنبحث وراء الحقائق ونصل إلى اليقين
وجوهر الحكمة.. وحكمة الخلق والحياة..
القراءة والتأمل عملية تدريب متصل.. ورحلة عملية نصل
خلالها إلى إدراك ضرورة أن يشيع العدل.
وهكذا كلما أمعنا النظر جيداً وتدبرنا الأمر.. نرقى إلى عملية

تطوير مستمرة نصل فيها إلى ذروة التنوير في حياتنا.
يقوى لدينا الاعتقاد بأن الله صنعنا على عينه.. نشق بإمكان أن
نصبح من أصفياه وأوليائه.. يثبتنا بالقول الثابت.. نقبل على الحياة
ونستمتع بالأعمال الطيبة.. ويجعل لنا نوراً ووداً.
وما أجمل أن تكون أيماننا «رحلة المشتاق».. زادنا التقوى..
ووجهتنا نفع الناس ورضا الرحمن.

خلقنا ليلونا أينما أحسن عملاً - وعلى حسب الوزن الإجمالي
للطيات والعمل الصالح يكون الحساب الختامى.. والمنزلة وحسن
المآب.

سبحانه له الأسماء الحسنى.. «العدل» أحد هذه الأسماء..
ندعوه بها.. نقرب منها.. نسامى لتصل بها ونحقق وجودنا ويشع
عنا أجمل الصفات.

الرحمن كان بنا حفيماً ورحيماً.. ميزنا ببينة العقل.. مميزاتنا
لمحركتنا.. وأرسل رسله بالبينات وأنزل معهم - الكتاب والميزان -
وكفل لنا حرية الاختيار.

وكان غاثم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام.. ومعجزته
القرآن.. نتعلم منه البيان والحكمة وحسن الخلق والعمل.
نكون على الصورة التي أرادها لنا الله..

ندرك نعمة التوازن والوسع.. تتسع حولنا دائرة الدفاء الإنسان
واحسلس المودة والمشاركة.. والرغبة في تغيير العالم من حولنا، وجعله

أكثر عدلا ونبلا. القرآن به نعيد صياغة أنفسنا. . . وصقل أرواحنا. .
إحياء الروابط بيننا والآخرين. . تجديد خلايا المحبة داخلنا، وإعادة
الوحدة بيننا والجماعة.

- نعود كفطرتنا الأولى. .

العدل هو محور الارتكاز في الكون - إن تحقق يظللنا كما
السياء.

والميزان هو النعمة الرئيسية لإيقاع الحياة واستقامتها، ونبل العيش
فيها، ومقرر الدرجات يوم الحساب.

وطوبى لمن يفلح ميزانه. . . ويتعود محاسبة نفسه دائما قبل
العرض الكبير. . قبل أن يدركه - يوماً ثقيلا -

المؤس حقا من يلتحم بقضية العدل. . تكون وجهته. .
وقاعدته. . وركيزة جهاده. . ومجمة الميناء لخلبه وترحاله.

أن يقيم موازين العدل. . يجعل ذلك همه ومهمته. . رسالته
وجهاده ووسيلته إلى رضا الله.

الميزان - هو الحقيقة. . والأمل. . والبيان. .

بشارة الاعتدال والحق. . والتوازن بين الإنسان والعالم الذي
يعيش فيه.

بشرى الاستقامة والعدالة والشعور بالرضا والطمأنينة.

العدل يقيم أمر الناس.. يصلحهم جميعاً.. يصلح بالهم وأحوالهم.

النفس البشرية صحتها في التوازن.. لا تميل مع الهوى.. عدم التمزق بين الأهواء والنزعات.

السلام بين العقل والرغبات.

والمجتمعات يصلحها العدل يقيم شأنها وترتفع بين الأقوام
أمرنا الله ألا نطغى في الميزان أو نخسر.. ونقيم الوزن بالقسط
- ذلك كيل يسير -

فمن نقلت موازينه بالأعمال الصالحة، يكون له الفوز والنعم..
والعزة والتقدير.. ومن خفت موازينه، أولئك الذين خسروا أنفسهم
وأهلبيهم يوم القيامة.

وحتى في الحياة الدنيا، لم يحققوا الكسب بمعناه الصحيح.. ربما
تمتعوا بالثراء والجاه.. مارسوا حياة الترف وسطوة النفوذ..

لكنهم في هم وقلق وخوف دائم.. وشك في كل من حولهم
- حتى أقرب الناس إليهم - خوفاً من أن ينكشف سترهم،
وأساليب الغش عندهم وأحوالهم الحرام. يحيط بهم الخزي والهوان في
الحياة الدنيا..

ربما نجحوا في جذب الأتباع وأهل النفاق والمتنعين، لكنهم
يفتقدون الاحترام والثقة والحب الحقيقي.. ويتجنبهم أهل النزاهة
والاستقامة والكرامة.

سجل عليهم الخسران بالتخزي والهوان في الدنيا.. وفي الآخرة عذاب مقيم.

نبهنا الله سبحانه وتعالى إلى الميزان في آيات كثيرة.. إشارة إلى الاعتدال المطلوب.. وتأكيد التوسط والاستقامة.. «ربما من هنا جاءت التسمية - أمة وسطا».. لا إفراط ولا تفريط.. لا إسراف ولا تقتير.. إنما دقة للموازن والمعايير..

المؤمن حقاً من ينمى داخله - ميزانه الخاص - جهاز حساس ودقيق. يعطى كل شيء قدره.. ويزن بسرعة فائقة - وقبل أن يرتد إليه طرف - ويقيس بمقياس الدين.. وبحسب بدقة متناهية.. ويقيم المواقف والأفعال في ضوء أحكام القرآن.. وحدود الله.

وليكن اسمه الضمير.. أو مجلس شورى داخلي.. أو هيئة محلفين.. فقط يستمر على تطوير ذلك المؤشر الحساس داخله.. والذي يسجل له تلقائياً أى ميل أو انحراف عن وضع الاستقامة.

﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا﴾

الاستقامة هي عمود العدالة.. مركز الاعتدال.. مؤثر الانضباط.. والطغيان خسران في الميزان.. ميل شديد وانحدار عن الحكم العدل. خسران الميزان يكون ابتداء من عمليات البيع والشراء والمعاملات، إلى أجهزة الحكم ومجالس القضاء، وأسلوب إدارة شئون الناس.

يأمرنا ديننا بعدم أكل أموالنا بيننا بالباطل -

﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾

الأمر هنا بصيغة الجمع . للناس والأموال .

الجماعة هي المخاطبة، وهذا دليل على وحدة الأمة وتسرابط

مصالحها، وإشارة إلى أن المال في الأساس هو ملك للجميع .

لا بد من احترام حقوق الغير والحرص عليها والوفاء بها - وكأنها

مالنا الخاص - لو أدركت الأمة العربية . والدول الإسلامية كيف

يرتق شأنها بالإسلام . . وتعلم أسلوب الحكم من آيات القرآن . .

لارتفعت به وتقدمت وصلح حال إنسانها .

أكل مال الغير جريمة يتعدى شرها إلى نفس الأكل والجميع . .

وهو جناية على الأمة كلها باعتبار أنها تكون وحدة عضوية . وبالتالي

فإن أعمال السلب والاعتصاب والرشوة تدخل كلها في جريمة الأكل

الحرام . . كذلك الغش والسخرة واستغلال النفوذ . . كل يتعدى على

من هو أضعف منه حتى تكتمل الدائرة . . وتحاصر الجميع .

وحتى الدعاية المغرضة التي تروج سلعة رديئة أو فاسدة . . أو

تزين حكماً سيئاً . . هي أيضاً خسران للموازن والقيم .

ويأتى تعبير «الأكل» بالنسبة للأموال بليغاً ومعبراً . . بمثل عملية

الشره والجشع والنهم . . أكل أموال اليتيم أو الضعيف أو ابتلاع

حقوق الناس عموماً . .

وحرم أن ندلى «بها إلى الحكام، لناكل فريقاً من الناس . . نأكل

حقوقهم ابتداءً من القوت إلى المكانة وسائر حقوق الإنسان .

الطغاة والمستكبرون دائماً «يبغونها عوجاً»
لا يطبقون الميزان - رمزاً أو حقاً -
العدالة تؤرقهم وتقضى على توسعهم وبغيمهم وشراهة «الأكل»
لديهم.

ولعل أخطر أمراض المجتمعات الحديثة، هو الخلل الخطير في
الموازين في بنية المجتمع ذاته، واهتزاز القيم فيه.
الامة في هذه الحالة تفقد قوام أن تكون أمة حقاً. . ربما تصبح
زحاماً وحشراً وأناساً يلتصق وجودهم. . ولكن دون تقارب حقيقى أو
مودة ومشاركة بينهم.

تضييق عليهم أنفسهم وتضييق الأرض بهم. . لم تعد أمة متجانسة
بل مجرد أفراد متفرقين يعانون من اختلال الموازين، وفقد الثقة
وانتشار النفعية وحب الذات.
في حين أن ميزان العدل يصلحهم جميعاً.

إن في ذلك لآية

دعا شعيب قومه إلى عبادة الله وحده، والسوزن بالحق .
- لا يريد لهم إلا الخير - قد جاءتهم بينة من ربهم حقاً . . أن
يبعث رسولا يقول في مسائل الكيل والميزان .
ولأن التوحيد في حد ذاته اعتدال لميزان الناس .
خلق كل شيء فقدره تقديراً . . لم يخلق شيئاً عبثاً - سبحانه -
يقوى الإنسان ويستقيم بعبادة الله . . لا يصبح نهياً لأرباب متفرقين . .
لا يجيء ممزقاً بين آلهة متعددة . . لا يخضع لقوة أو سلطة . . يسلم
وجهه لله العلى القدير .

﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾
ياسبحان الله بعد أمر التوحيد مباشرة، يأتي النهى عن نقص
الكيل والميزان .

الإيمان يقتضى العمل بما جاء به الرسول من عند الله . . والعدل

شريعة الله.. لذا وحب على المؤمن الالتزام بجانب الحق والعدل
ابتداء من أبسط مظاهر التعامل اليومي إلى أخطر القضايا والمواقف.
نقص المكيال والميزان وأكل حقوق الناس، يعد خطيئة كبيرة
موازية للشرك.

المؤمن حقاً من يجب للآخرين ما يجب لنفسه ورضاه.. يستشعر
أخوة الإيمان.. أما نقيصة الطمع وحب الذات والرغبة في استغلال
الآخرين، فإنها شر يتهدد الجميع ووباء خطير يدمر كيان المجتمع.
جعل الله لكل نبي آية شاهدة على صدق وصحة دعوته..
علامة واضحة بينة.. معجزة على أن ما جاءهم به هو الحق من
عند ربهم.. وجعل من اليسير على الناس إدراكها، إذ هم
المقصودون بها.

عصا موسى.. والنار تكون برداً وسلاماً على إبراهيم.. وصالح
عليه السلام بعد دعوة التوحيد أبلغ قومه الآية التي أيده الله بها.
﴿هذه ناقة الله لكم آية﴾ آية بينة أي أنها عظيمة القدر
واضحة المعنى قوية الدلالة.. وآية الله في الناقة ألا يمسه أحد
بسوء.

قيل إنه لم تذكر الآية التي جاء بها شعيب عليه السلام إلى
قومه.

وأشار - الإمام محمد عبده - «إنه قد يؤخذ إنذاره لأهل مدين
أن يصيبهم ما أصاب قوم نوح أو قوم هود وثمود، إذ هم أصروا على

شفاقه وعناده على أنه بينة لصدقه - وقد صدق إنذاره بالفعل . .
ولكن لا بد أن تكون له آية أخرى دالة على صدقه تقوم بها الحجة
عليهم . .

- ولأن صدق الإنذار ووقوع العذاب ينهى الموقف ولا يقيم الحجة -
وإن كان يعد آية . . وموعظة لمن يجيء من بعدهم . . وعبرة تثبت
إيمانهم .

وبرغم أن الإنذار يدل على أن الله سبحانه أعلمه بخبر الأنبياء
السابقين وقصصهم مع شعوبهم . . أعتقد أن آية شعيب هى الميزان .
الميزان كرمز . . وتصور . . وفعل هو البينة التى أنأهم بها شعيب من
عند علم خبير .

وبعد أن فسدت حياتهم واختلت موازين عيشتهم . .
كانت خطيئة أهل مدين الغش فى الكيل وخسران الميزان ومحس
الناس أشياءهم .

هضم حقوق الضعفاء بينهم . . والفساد فى الأرض . . والأمم
تعاقب على ذنوبها فى الدنيا والآخرة . . يكون عقابها فى الدنيا أثراً
للسيئة التى يأتونها، تفسد الأخلاق وتباع الذم . . وتمزق الروابط
والصلات وتذهب قوتها هباءً . . وضل سعيهم، وقد يترتب على
الفساد والاختلاف أن تسلط أمة أخرى عليها فتسلبها أمنها وثرواتها
وحرية أهلها تستبد بهم وتذلهم، المأساة تبدأ دائماً من الخلاف والفرقة
وشدة الحاجة، وعدم إقامة شريعة العدل، وذو السؤال، ثم التبعية

العذائية والمالية.. تلك هي اللعنة التي أصر أهل مدين على عدم الرجوع عنها، واستمروا في طغيانهم.. - وما كان الله معذبهم قبل أن يبعث رسولا - فلما كذبوا ولم يسمعوا.. «أخذتهم الرجفة» تماما مثل قوم صالح عندما كذبوه فعقروا الناقة. وأصبحوا عبرة على مر الزمان والمداين والأقوام.

كان لابد لهم من رسول يذكرهم بميزان العدل الإلهي..
بتصور الميزان وماذا تفعل إقامته في حياتهم.. بالعودة إلى التوحيد، وهو أصل استقامة الأشياء كلها - وهو خير لهم -
ولأن البينة هي كل ما يتبين به الحق.. وجعلها عبرة وموعظة فهي تشمل المعجزات الكونية والأدلة العقلية.

والميزان برهان عقلي قائم.. لو تدبروا أمرهم.. وتفكروا وتأملوا - ونظروا كيف كان عاقبة المجرمين - لعرفوا العلاج لحاظم المتردي..
ووجدوا أن خلاصهم في العدل وإقامة الميزان الحق.
الإشارة إذن إلى ضرورة اعتدال الميزان.. والعودة إلى الإصلاح وإقامة العدل بين الناس.

وهو هدف التنزيل والعبادات والرسول «إن في ذلك لآية»
حذر «الملا الأعلى» من اتباع دعوة شعيب.. وترك معتقدات الآباء والأجداد - ودائما يفعلون ونفس الحجة يقولون ويكذبون على أنفسهم وأهلهم -

قالوا إن ذلك ضد حرية التصرف في أموالهم، وتقييد لحدود الكسب والثراء لهم.

قوم شعيب كانوا من المطففين ﴿إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ - وتجد أكثرهم «بخاسين» هم يروونه فيهم ضعيفاً.. ربما يبغي من وراء دعوته مكان الصدارة والرياسة بينهم - لذلك قعدوا له بكل صراط.. وهددوه بالرجم لو استمر في دعوته وجذب العامة إليه وجعلهم يتمردون على سادتهم.

قال لهم إنما يبغي الإصلاح - وإن أجره إلا على الله - لقد غيب عنهم جشعهم ورغبتهم في الكسب السريع الرؤية الصحيحة.. وحجب عنهم المنطق السليم للكسب على المدى البعيد. حسبوا أنهم يخسرون إذا اعتدلت الموازين.. يرون من حقهم حرية التصرف في أموالهم، وتحديد مقدار الكسب الذي يريدون. يظنونها مهارة عندما يخسرون الميزان ويأخذون أكثر من حقهم. غابت عنهم بدئية بسيطة.. وحقيقة واضحة.. أن المال الخاص جزء من المال العام، يجب أن يوجه إلى ما فيه مصلحة ونفع الجميع.

والحرية لا تعنى التزوير والغش، والمبالغة في زسادة المكسب والأسعار.. إن هي إلا حركة شريرة.. ودائرة سوء يمتد أثرها إلى الجميع وتختل بذلك كل موازين المجتمع وقيمه.

لو شاعت تلك الافة الاجتماعية الخطيرة، لعادت دورة المال إليهم لتسليمهم ما أخذوه في وجه آخر من وجوه التعامل بين الناس. وكاننا أمام جماعة تهدم نفسها من الداخل، وتقوض دعائم بنائها واستقرارها، وكل يتساق إلى أعمال النهب والسلب وإتقان فنون المساومة والابتزاز والخداع، وفوضى الموازين والمعايير. مجتمع هذا شأنه، لا يلبث أن يهار.. وتمزق فيه أواصر القربى والمودة، ويقلب على نفسه.. تدمره رياح الحقد، ولا يصح أى شيء فيه أو يستقيم. يصبح الفرد عدواً داخلياً يترص بإخوانه ومواطنيه كما يتربص به أى عدو خارجي يريد أن يستثمر موارد البلاد وجهود أبنائها.

استمر شعيب في مواجهة قومه..

وياقوم ﴿قد جاءكم بينة من ربكم﴾ إنى أخاف عليكم عذاب يوم محبط. يخشى أن يصيبهم ما أصاب قوم نوح.. أو أهل هود وصالح.. وما قوم لوط ببعيد..

يدعونهم ليستغفروا لذنوبهم يريدونهم أن يتوبوا.. أن كل شيء بالخير والعدل.. أن يتعدوا عن الفساد والصلال.. يحذرهم:

﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ فِي شَيْءٍ﴾

يجب وزن كل شيء بالقسطاس المستقيم.. أى ميل أو انحراف يعمق الفساد والضرر. التوجه إلى الله يستدعى الاستقامة والأمانة والنزاهة وحب الخيرات..

البخس معناه نقص قيمة الشيء الحقيقية .
استغلال الظروف للتهوين من الشأن والتقليل من الثمن .
خسران الموازين والبخس يأتي في عمليات البيع والشراء ، وفي
تقييم الأعمال والقدرات والمواهب .

بشارة شعيب لقومه . عن الله تعالى - أن لو اعتدلت الموازين
يعتدل كيان المجتمع بأسره . . . وبذلك تكون قيم الحق والعدل والحرية
ضرورة حيوية . . . ليست ترفاً ولا منحة من أحد . . . إنما هي الأساس
في فطرة الإنسان والركيزة لبناء الأفراد والشعوب .
وهي آيات بينات من ربهم . . . بشرى وهدى ورحمة من لدنه إذ
اختاروا لأنفسهم طريق الخير والإصلاح .

البخس - أعم من النقص وتشمل كل أوجه النشاط الإنساني .
- تلك الآفة اللعينة - منتشرة بصورة مروعة في أيامنا تلك .
يأتونها على أعين الناس . . . جهرة . . . ويباهون بها بلا أدنى حياء
أو خجل . أغلب التجار يفعلون والشطار من ذوى الثروات والنفوذ . .
تجد أكثرهم «مخاسين» عندما تقدم بضاعتك أو إنتاج عمل فني . . أو
رأى رشيد . في مجال العلم والفن ، يتصدر القوم أحياناً من خفت
موازينهم من الحكمة والموهبة ، وحسن الأداء ، وإرادة الإصلاح . .
لا تبيخسوا الناس أشياءهم .

جاء النهى بصيغة الجمع - لأن البخس يجيء بين الأفراد وعلى
مستوى الجماعة . . كذلك هضم الشعب حقوقه وحرية بتسلط فئة من

الناس وطغيان المترفين. وبحس الناس أقدارهم يخل بالتوازن في المجتمع كله. وما فقدت أمة ميزان العدل. الذى هو أساس الاستقامة والحق إلا حل بها التدهور والفرقة والانقسام، وهان أمرها على الناس.

لذلك أنزل الله ﴿الكتاب بالحق والميزان﴾ ليثبت الذين آمنوا، وهدى وبشرى للمؤمنين.

الوزن يومئذ الحق

الكلمات تنساب إلى حسى وسمعى .
موجات أثرية تندفق إلى الوجدان .. يخفق لإيقاعها القلب ..
يسرى الشعاع إلى كل خلايا الذهن .. تتحرك كوامن النفس ..
يومض نور داخلى .. تتصاعد موسيقى باطنية .. تتسع رغبة
لعلم .. وتفتح طاقة الشوق الجميل .
مقدمة بسيطة .. تقود إلى نتيجة منطقية .

فأما من ثقلت موازينه . فهو في عيشة راضية . وأما من
خفت موازينه . فأمه هاوية .

وضعت الآيات متقابلة هكذا .. موزونة ..
العمل في كفة وقيمة الوزن في الكفة الأخرى ..
فريق في الجنة .. وفريق في النار ..
العمل بين .. والنتيجة ملائمة .. من نفس نوع العمل .. إن
خيرًا فخير .. وإن شرًا فالعاقبة وخيمة . هكذا يقام الوزن بالحق ،

وأمامك حرية العمل.. وفرص الاختيار وموارد المعونة.. ويسامح
الحكمة وآيات الاستدلال والعبرة.

فاختر لنفسك ما شئت.. وادخر لميزانك ما ترى.
من تثقل موازينه فهو في عيشة راضية.. ومن يخسر ميزانه
وترجح كفة السيئات لديه أمه هاوية.

لفتنى التعبير بشدة.. أذهلنى.. أدار رأسى، كما لو كنت أسمع
للمرة الأولى.. لم أتوقف من قبل لديه.. ماث من الصور والمشاهد
اتسعت فى مخيلتى.. رجفة من القلق والوجل هوت فى قلبى.. رهبة
وخشية.. يال العبارة الموجزة - المحرقة - أمه هاوية!

فى رحلة البحث عن المعنى.. وتقصى الكلمات.. أبحرت بين
خبايا اللغة.. ورزق المفردات.. وجرس الحروف واستلهم موسيقاها
الداخلية اتضححت لى رؤيا أرحب. أمه.. أى مكانه ومقره.. مأواه
ومنزله..

«الهاوية».. المكان الذى أعد له.. نزله ونتيجة لسوء عمله
واستكباره وعدم إعمال العقل.

بهرفى المعنى حقاً.. سبحان الله الخالق المصور.. يتجلى جوهر
الكلمة بذاتها.. تعطى مدلولاً أكبر لعمق المعنى فيها.. تتسع حتى
لتجسد مشهداً بأكمله.. تكتمل لترسم خاتمة لقصة حياة بأسرها.
تتجلى الكلمة حتى لتصدر فحواها الداخلى.. حركتها الباطنية..
وتثبت صدق نواة خلقها وذروة أدائها..

اختار - سبحانه - لفظ أمه.. دون بقية المترادفات كلها..
هتفت فجأة.. يا الله.. أى أن الإنسان اختار الرحم الذى يضمه فى
النهاية.. يعود بعد رحلة الخلق الأولى ليستقر فى «رحم» لا خروج
منها.. لا بعث ولا ولادة.. إلا أن يشاء الله.

الإنسان وهو خلق ببطن الغيب أعد الله له سكنًا ودفنًا. كُنَّا
ومكنا فى باطن أمه ليعبر منها إلى الحياة الدنيا..

يكبر ويصير مسئولًا عن أعماله.. يختار لنفسه الرحم «الثانية»..
يوجدتها بأعماله يحددها بمواقفه وحركته أدائه.. يختار بمحض إرادته
نزله.. ومأواه..

مساكن طيبة.. غرف تجرى من تحتها الأنهار.. روضة فى
الجنة.. أو تكون «النار موعده» حيث التحم الزمان بالمكان.. كونا
وحدة.. «رحم» يطبق عليه بالعذاب.

- والوزن يومئذ الحق -

به تحق الأمور وتعرف كل الحقائق.. ويكشف المستور.. ويداع
أمر الإنسان..

- يجد ما عمله حاضرًا -

يوم تشرق وجوه المحسنين.. ويوم الخزي والحسرة للضالين
الطاغين.

الجزاء على حسب العمل ه وكفى بالله حسيبًا - والعدل قائم
والميزان.. ولا يظلم ريبك أحدًا - ولو كان مثقال حبة من خردل.

قد أفلح الذين آمنوا وعملوا الطيبات.. وخاب الذين لم يعملوا حساباً لهذا اليوم، ولم يترنوا للعرض الكبير.. خسروا أنفسهم.. ولا يقام لهم يوم القيامة وزن - كانت حرية الاختيار مكفولة لهم.. ويتحلون بنعمة العقل.. وآيات الله تحيئهم مبصرة وتحيط بهم من كل جانب.. والرسل والكتب ومع ذلك أغلقوا قلوبهم وعقولهم وكتبوا على أنفسهم الخسران المبين. ذلك بأنهم استمروا على الكفر والعصيان وأصرروا على إغفال آيات ربهم حتى آخر عمرهم.

وبأن تصويرهم ﴿كانوا بآياتنا يظلمون﴾ والتعبير عن ذلك يعطى انطباعاً بأنها صيغة تمتد حتى المستقبل.. منذ ذلك الزمن السحيق.. من موقف عنادهم وصلفهم حتى المشهد المروع في النهاية.. عندما تم عملية الميزان وتعرف النتيجة ويكونون من الأخرسين.

وكثيراً ما تأتي صيغة الماضي أو الحاضر لتعبر عن فعل ممتد حتى مشارف المستقبل والأجل المسمى.. وذلك لتأكيد المعنى وإبراز صورة الحدث واتساع نتائجه.. ولأنه دائماً ومنذ البدء تجرد قوماً «يستحبون» الحياة الدنيا على الآخرة.. «ويصدون» عن سبيل الله.. «ويبغونها عوجاً».

يقول العرب القدماء - استقام ميزان النهار - أى انتصف اليوم.. والنهار في أوج ضوئه.. ونضجه.. إبطاره وحدته وسعيه.. - كانوا علماء حكماء - جاء النهار مبصراً.. واضحاً جلياً.. ونزل عليهم القرآن معجزة في البيان والحكمة.. هدى وبشرى

للمؤمنين. تتراءى لنا صورة «الميزان» من جديد.
قدرة فائقة لرفع السماء.. واتساق مجريات أمورها.. واختلاف
الليل والميزان.. ووضع الميزان.
طوفت بين حنايا التاريخ.. وقصص الأنبياء.. وسير الأقسام
الغابرين.. وأحداث عالم معاصر يموج بالأخطار وتضطرب فيه القيم
والموازن.. وتغلب عليه أعمال الجور والعنف والطغيان..
لم نجد سوى العدل يصلح الجميع.
إحياء الدين.. وإقامة الموازين.. صحة الوزن وعدم البخس..
وبذلك تصح الأمور وتستقيم.

ما لكم كيف تحكمون

عجيب أمر أمة ينطق «كتابها» بالآيات البينات وبالحق.. ومع ذلك يتحIRONون.. ولا يتبينون الرشد من الغى.. وفي هوة الخلاف يقعون.

البعض يترك نفسه هكذا - معلقا في العراء - بلا يقين أو أمل.. غافلين عن غاية الوجود الإنساني..

«غلف قلوبهم» كأنهم وجدوا بلا سمع ولا بصر ولا أفئدة. إن أعظم هبة للإنسان - العقل.

وهو إن لم يقدر صاحبه إلى الحكمة والهداية.. وإلى مجالات الرؤية الصحيحة وآفاق الاستدلال المنطق فهو مجرد «موتور» يعجز عن الحركة الصحيحة.. أو يركن للصدأ وقد يصل إلى مرحلة «الاحتراق الداخلي».. والتدمير الذاتي.. يوجد البعض و حل دون أن يكتشف متعة الفكر.. وحلاوة التفكير والارتقاء إلى حسن الإدراك.. ونعمة التدبر والتأمل.

وقد تعمل منهم العقول بجدة وذكاء.. لكنهم يخضعونها لأهواء

النفس.. أو استغلال الآخرين والاستعلاء في الأرض.
أحياناً يكون الدليل واضحاً.. وبين أيديهم يسطع البرهان لكنهم
يلوون رءوسهم.. ويجاهرون بغير الحق.. ويستكبرون.. يرفضون
تحكيم العقل.. أو إعطاء أنفسهم فرصة الفهم والاعتناع.. والوقوف
على الحقيقة.

مادام الأمر لا يوافق أهواءهم.. فهو مرفوض حتى ولو كان جلي
المنطق.. واضح الحجة.. بالغ البيان.
ويناقشهم (القرآن) - ليعلمنا من فضله ويجعلنا نقبس بعض
نوره.

﴿مالكم كيف تحكمون﴾ ما بال المعاندين والمكذابين.. كيف
يحكمون على الأشياء.. وطريقتهم في الوصول إلى استنتاج أو فناعة..
لم يكن أسلوبهم دائماً الترييف.. والتبرير.. وسائر العمليات
المعقدة ليلبسوا الباطل ثوب الحق..
بمنطق رصين.. وصيغة تؤثر في الوجدان وتسير العقل وتجعل
للناس «بصائر» يناقش «القرآن» المكذابين..
الذين ينكرون وجود الله.. أو ينفلتون من اتباع أحكامه.
ولا يرون في إقامة الحق والعدل، «ضرورة حتمية» لصالح أحوال
البشر والمجتمعات.
﴿ما لكم كيف تحكمون. أم لكم كتاب فيه تدرسون﴾.

هل وصلوا إلى كتاب جامع يتحدث عن حقائق الكون والنفس الإنسانية - ولا يكاد يغادر صغيرة ولا كبيرة - وأحكامه الصحيحة التي يعيشون بها حياة طيبة.. نبيلة يشعرون فيها بالعزة والاستقامة والسلام مع النفس كتاب معجز لا اختلاف فيه.. ويقع ما يتنبأ به.. ويثبت التاريخ ومسيرته صدق أحكامه، ووضوح استنباط وقائمه وأحداثه.. ويتاح لكل زمان علم وحقائق علمية لم نتبينها من قبل . ويتيحها الله لنا بقدر وفي موعد معلوم.

مساكن ترضونها

تراات أمامى آيات بينات.. قد جعلها رى حقاً.. هدى وشفاء
فى الصدور.. وبشرى..

﴿مائدة من السماء تكون لنا عيداً﴾

نهر يتدفق بكلمات الله فيجعل البيت ظهوراً.. ويحيل الأشياء
ببعا إلى نضرة وإلى بهجة.. ويدخلنا طلا ظليلاً..
يصقل الحدران.. ويسرى بالبور سبر الحجرات.. فتشع أتب
سكينة.. ويفيض القلب طمانينة.

ما أجل أن يعيش الإنسان فى بيت يقم فيه الدين. ويرطب
أيامه بذكر الله.. والأنس به.. والتمتع بقربه.. والاشتغال بطاعته.
والله مجيب وقريب.. هنا يصير البيت «سكناً».. ومزلاً وائقاً..
ومقاماً محموداً ووجدت ما أفكر فيه.. حاضراً.. قد جعله رى
حقاً.. سطعت فى وجدانى (الآية)..

بؤعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها
الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة﴾.

الله سبحانه وتعالى يعلم كم هى شاقة رحلة الحياة وعسيرة..
تتطلب منا الصبر والجهاد.. وتنمية ملكة الثبات والاحتمال. تهون
برفقة طيبة وعش صغير هادئ.. لذلك خلقنا «أزواجاً» وجعل لنا
من بيوتنا.. «سكنًا» حتى من الجبال الواعرة الصلبة.. جعل لنا
فيها «أكنانًا».. حضنا دافئًا.. «كن» يفيض بالخيرات والخصب
وأسباب النماء.

وإذا آمنا وعملنا صالحًا وإننا وكما كتب لنا - نعيش حياة طيبة
ويعدنا بعد ذلك بالنعيم المقيم والرضوان - أعلى مراتب الرضا والعزة
- يعدنا بأروع ما كان لنا فى الدنيا - أزواجًا مطهرة - ومسكن
طيبة.

والإنسان منا يجب سكنه.. بيته الذى يضمه وقرة عينه..
وسريه.. مع آماله وأحلامه.

وهو حب فطرى متأصل فى النفس.. وهو غاية المني.. وواحة
الراحة من مجاهدة الحياة.. بعد طول عناء وشقاء يومى.
حتى لقد عاتب الله الذين «قعدوا» عن الجهاد فى سبيله..
والخروج مع رسوله.. عاتبهم وأنذرهم بشدة.

وهل يكون الأهل والزوج والعشيرة والمال ﴿ومساكن ترضونها
أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله﴾.

حب الديار.. والبيوت التى شغفتنا حبًا هى من أسباب
التفacs.. والفرار والهوان وتولى الأدبار.

ولكن أتظل المساكن التي نرضاها. . . وملتصق فيها أحب إلينا من
الله ورسوله وجهاد في سبيله؟

وتستمر هذه الخطيئة حتى قادم الزمان وقرنا العشرين.
هذه البيوت المحبوبة. المرغوبة منا - في عصرنا الحديث..
تسبب حقاً في أخطاء جسيمة.. وكوارث مستحيلة - على المستوى
العام والخاص - البعض من أجل أن تبقى مفتوحة.. ومترفة - تلك
المساكن التي يرضونها - يزيفون.. وينافقون.. ويسقطون.
وكلما زادت فخامة البيوت.. وتراصت فيها الأدوات الحديثة..
زاد السقوط والجريمة.

يبعونها عوجاً دائماً - يقفون في وجه أى محاولة للإصلاح والتغيير
من أجل أن يظل لهم التميز والغنى.

البعض يبني «مسكنه» منذ البداية - دون أساس متين - أو
سلم ويأكل أموال الناس!

- وتشكل مسألة انهيار العمائر والرجال ظاهرة خطيرة.. ووساء
مستفحلاً. كل ذلك من أجل الهم والحشع والرعة في التسلط
و- مساكن يرضونها -

هل يمكن أن تكون غاية ما نريد الوصول إليه من ديانا..
وحصيلة علمنا.. ونحسر من أجلها أنفسنا وآخرتنا؟

هل يكون الوجود والفكر والطموح والحلم.. من أجل «مسكن»
يرضى غرورنا.. ونفقد فيه حقيقة أنفسنا؟.. أمس أجل المظهر

والوجاهة والمخاتلة يكون الثمن فادحاً لهذه الدرجة؟
لماذا لا نعمل من أجل بيوت حقيقية عامرة بالمحبة والرضا..
صحية.. يشب فيها الأبناء معافين.. أتقياء أتقياء..
عتبات مطهرة نقيم فيها الدين.. وكل ما فيها حلال طيب.
بيوتاً لا نرضاها لفخامتها أو زخرفها.. ولكن لأنها تمثل سكناً
وأماناً.. وكنا دافئاً.

حجرات هادئة ندرک من تأملنا فيها الحقيقة المؤكدة لدينا.. هو
أننا مهما كنزنا فيها.. وجلبنا لها من رياش وأثاث فهي خارجة من
أيدينا لا محالة.. ولن نملكها أبداً.. ولا بد خارجون منها.
ومن قبل أوحى الله إلى نبيه موسى أن «يتبوا» وقومه ببيوتاً
- يجعلها «قبلة» - ولنتأمل اللفظ المعجز «تبوا».
وتأملت الإشارة الجليلة.. بيوت المؤمنين يجب أن تكون قبلة..
تكون - ميوماً صدق - رفيعة القدر.. عالية المكانة.. عامرة
بالخير.. مقامة على ذكر الله.. منيعة بحمده وتسيبحة.. تسطع
بنوره.

تسم بالجلال والعزة والطهر.
هكذا يجب أن تكون بيوت المؤمنين حقاً.
فهل بيوتنا تليق أن تكون «قبلة».
أم أننا اتخذنا ديننا داخلها مهجوراً.. وعمارها بهتاناً وزوراً؟..
دين النظافة والطهر والنقاء. نظافة الثوب والبدن.. النفس

والأمكنة.. الضمائر والنوايا. ذلك الدين القيم.
فكيف بنا.. ونحن ننتمى إليه نصبر على القدارة داخل البيوت
وفي الطرقات وحول السكن.. وتنفذ إلينا - من خلال عيوننا -
الأمراض والأوبئة.

لماذا لا نظهر بيوتنا.. «حوانيتنا».. مدننا.. ووطننا إسانيتنا..
و «السكن الخاص بنا» - طهارة مادية ومعنوية؟

كيف لانضع هدفاً لعملنا إشاعة الجمال والنفع والخير من حولنا.
نعمل ونجاهد ونتطلع دوماً إلى ذلك الوعد الرائع.. أن يبوئنا
الله في الجنة غرماً تجرى من تحتها الأنهار.

وجاء حين من الدهر خر السقف علينا وغاب الأمان.
اعتلى قوم الجدران.. ودخلوا دون استئذان.
لم يظرقوا الأبواب أو يسلموا.. استرقوا السمع والبصر - أشعلوا
من داخلنا.. حرباً علينا.

استباحوا الحرمات.. وقديسية صلة الرحم.. تبدد الأمن والسكن
ظلوا يتربصون لحظة انهيار قادمة.
وانكروا علينا حتى أن نصبر. ندعو الله.. إليه نستجير وبه
نعصم.

لكن الله غالب على أمره.. كتب على نفسه الرحمة.
فأخذتهم الصيحة، وهم ينظرون وليكونوا عبرة للمتقين.

وتأملت دعاء زوجة فرعون. «رب ابن لي عندك بيتًا في الجنة».

هى مليكة مصر.. تعيش حياة البذخ والقصور..
لها ملك مصر.. وهذه الأنهار تجري من حولها..
«والملا الأعلى» بين يديها يرفلون - فرحين بما أوتوا - يسرفون
فى الشناء والنفاق والتمجيد للفرعون وزوجه المتوجة.
ومع ذلك أدركت أمام براءة طفل صغير حمله إليها النهر أن كل
مظاهر الظلم والجور وأمر تقتيل الأطفال.. واستحياء النساء على الذل
والخوف.. وقطع دابر الرجال.. قصر كهذا هو السجن بعينه أو
الجحيم.

لذلك دعت الله مخلصه أن يبنى لها «بيتًا» فى الجنة.. وينجيها
من فرعون وعمله.. ومن القوم الظالمين.
وجعل لها ربها آية.
لديهم حقًا مظهر السكن.. زخرفة أو ثرائه.. لكن يهم حقيقة
ما «بداخله» فلنجعل بيوتنا «قبلة» عامرة بالإيمان.. مترعة بالمحبة..
قائمة بالحق والعدل.
وأعظم حقيقة أن هذا الكون البديع لم ينشأ «بالصدفة» بل له
خالق مدبر يقوم بالامر.

﴿ أم لكم كتاب فيه تدرسون . إن لكم فيه لما تخيرون ﴾
هل يوحد بين أيدي المكذبين .. العصاين كتاب أفضل ..
يختارون مما فيه ويجدون القناعة بين آياته ؟
هل توجد بين أيديهم أدلة وسرايين أكثر .. ومجال للرؤية
والاختيار أفضل ..

أم أنهم - وعلى مر العصور - يرفضون ولا دليل .. وينكرون
بلا حجة أو منطق .. ويعرضون عن آيات القدرة الدالة على
الوحدانية، دون تدبر للنظام المحكم، ولو تأملوا إلى الحكمة، ووصلوا
إلى الإيمان واليقين.

﴿ أم تسألهم أجرًا فهم من مغرم مثقلون ﴾

ربما زاغوا لأن هناك من يطلب منهم أجر هدايتهم .. وهم
مثقلون بالغرم، والمال لديهم أعز من أنفسهم .. وهم أحرص على
الترف والكنز .. لكن الرسل لا تسأل الناس أجرًا ..

إن أجرى إلا على الله - قالها «نوح» وسلالة الأنبياء من
بعده .. وإبراهيم وذريته المكرمون إلى موسى وعيسى ومحمد النبي الخاتم
الأمين.

لا شيء لديهم على الإطلاق .. يتركون أنفسهم في العراء هكذا
- معلقين - رحلتهم إلى الخسران المبين ..

يتسابقون إلى حتفهم، ينتظرون حتى تأخذهم الصيحة.. صم
كم لا يعقلون.

وإلى آخر الزمان.. نخدمهم كثيرين.. كما وصفهم القرآن..
معزولين عن السمع - بمعزل عن سماع الحق أو الصوت الداعى إلى
الإصلاح.. يجادلون بالباطل ويرمون المتقين بالتهم ويفترون.. صفوف
متراصة.. ومنذ الأقوام التي خلت من قبل.. وامتداد العصاة المترفين
والطغاة المتحكين.. يستكبرون.. ولا ينظرون إلى أبعد من سلطانهم
ومقاعدهم.. وما جمعوه.

مع أن كل ما يعبدون من مظاهر الترف والصنم ووسائل السلطة
والنفوذ، متغير لا يدوم، وهو خارج من أيديهم لا محالة..
ويحدون أن حياتهم ضاعت هباءً وغيثاً.. ولم يحققوا من وجودهم
سوى الضلال والغواية ومكر السوء.

ومنذ البدء تجدهم.. المترفين والعالين في الأرض؛ يمتنون دعوة
الصالح والمصلحين.. يكرهون من بدعوهم إلى الحق والعدل.
يبطلون في أنفسهم هداية العقل وهدى الدين.. والقوى المحركة
للاستدلال وإعمال الفكر، والطاقة الدافعة إلى الفطرة السليمة.
وأقوام كثيرة تعيش كالأنعام.. مسلوية الإرادة.. مضطربة
الحواس.. ذاهلة العقل لا يتدبرون الأمور أو يعقلون. يرهبون الناس
ويجعلون لله أنداداً، مع أن الإيمان أقرب إلى الفطرة، والسوحدانية
تصنع في آيات الكون.. والدين لم يقدم لهم ما يرهقهم بل

ما ينظم حياتهم ويرتق بأسلوب معيشتهم، ويرفع أقدارهم ويهبهم العزة والجلال. ويجعل صلاتهم وشيخة حب.. ورباط مودة. يهديننا « الكتاب » إلى صيغة الحوار.. وأسلوب الإقناع وصياغة القياس العلمى.. واستنباط للحقائق.. إلى منهج الاستدلال العقلى.. والاستنتاج المنطقى.. ونظرة شاملة لوحدة الخلق والكون. يعلمنا « النور » الذى أنزل علينا كيف يكون حديث المؤمن.. ودائرة النقاش.. وأسس الجدل ووسائل الإقناع.

دروس وعظات.. وتدريب لنكون من جنود الحق.. ودعاة إقامة العدل. ويبدأ التساؤل (أم) صيغة للعتاب المقحم.. والتأنيب المؤثر فى النفس المثير للالتباه.. مقدمة تستفهم عما وراء تفكيرهم.. وخلفية نظرتهم لقضايا عصرهم.. أدلة يسوقها العلى القدير لشحذ الالتفات واستلهاام الفطرة وتنسكب إلى الأعماق فتزيع ذلك الجفاف الروحى.. والجذب الوجدانى منهج للمناقشة جدير بالتأمل..

واقامة للدليل العقلى - كيف يحكمون -

هل أخذوا موثقًا يصلح العمل به.. هل يعلمون الغيب ويكتبونه لديهم فلياتوا ببرهانهم أو شركائهم.. كيف ينكرون.. ولا دليل لديهم.

خطاب موجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أن يسأل المشركين كيف يحكمون على أنفسهم هذا الحكم الجائر.. ولا يحترمون عقولهم.. وقوة الحجج هدايتهم.. وموعظة الأجيال السابقة من

الغائرين.. . ويتركون أنفسهم في غيهم سادرين.. . لا يحIRON جواباً.. .
ويجزيم الله في الدنيا والآخرة.
صياغة موجهة إلى المؤمنين أن تكون دعوتهم بالمنطق الرصين.. .
أن يكون أسلوبهم وخلقهم القرآن.. . ويتعودون على النقاش بهذا
القدر من النضج.. . ووضوح الرؤية.. . وجلاء البصيرة.
نداء رباني إلى الحكام - ومن يوليهم الله شؤون الآخرين - أن
يلتزموا حدود الله.. . وقيموا أحكامه.. . وألا يجيدوا عنه إلى أهواء
النفس وغواية النفوذ.. . ومنزلق الاستعلاء.. . أو ما يزينه لهم المترفون
والمنتفعون ويطانة السوء.
تدريب إلهي نعيد صياغة أنفسنا.. . وعود به إلى نعمة الحب.. .
نعمل صالحاً.. . ونقيم الدين لله.

إن كنتم للرؤيا تعبرون

كان أول خاطر يرد إلى ذهني في الصباح
(بى شوق إلى القرآن عظيم)

القرآن موعدي.. والصبح واعد.. ويجتاحني الشوق الجميل.
نمت البارحة على هم ثقيل.. دعوت الله أن يساعد بيني
واللحظة المضنية.. يمر وقع الألم.. يسرع مؤشر العبور.. يهيني فسحة
من الوقت.. الغد يوم آخر - حدث اليوم يصبح ذكرى فيه..
يحتوينا زمن جديد.

أسلمت وجهي لله.. تهدج صدرى بالدعاء (راحة النعاس يا
رحيم.. وأرنا رؤيا صدق من لدنك - واجعلها ربي حقاً - وعلمني
من تأويل الأحاديث..)

شاعت الابتسامة في ضباب غفوق.. تذكرت النبي يوسف
الصديق.. وهبه الله حكماً وعلماً.. وعلمه من تأويل الأحاديث..
إجعله آية في الصبر الجميل.
سبحان فائق الإضباح..

صحوت مع نبتة الإصباح الأولى.. تذكرت وعدى وموعدى..
 رحلة الشوق الجميل.. يوسف أيها الصديق.. نبدأ يومنا بالتلاوة..
 نستمع إلى القص الجميل.. سورة كاملة تستوفى القصة كلها..
 أحاطت به البلايا منذ البداية.. نزرغ الشيطان بينه وبين
 إخوته.. أجمعوا رأيهم أن يقتلوه أو يطرحوه أرضاً بعيدة..
 استقروا أن يلقوا به في غيابة الجب.
 يتعلق بالدلو القاه أحد السيارة.. ويبيع بثمان بخس - وكانوا فيه
 من الزاهدين - ويتعرض للغواية والمساومة - كيد النساء المستبدة
 الطامعة - أبى واستعصم.. وسيق إلى السجن برغم ثبوت براءته
 وعفته..
 مرة أخرى يلقيه الخطاة الى غياهب السجن - ضحية لذنوبهم -
 ويعتصم بالصبر الجميل.
 ابتسمت لنفسى.. اشرفت البسمة في حنايا يقظتى.. شغفتنى
 حباً قصته وصراعه النبيل..
 يملك «إرادة الصبر».. وشجاعة التحول والتطوير لموقف الهوان
 والخسف والكرب العظيم..
 أعيد التلاوة.. ليثبت منا الفؤاد.. ونقتدى بأولى العزم من
 الرسل. أماننا طريق البرء والشفاء.. وعلاج الهموم والمحن..
 فلنجدف في البئر العميقة.. ونبحر بزورق الصبر الجميل..
 ونغوص في بحار الحكمة.. نتعلم كيف نسعى ونعمل حتى في أشق

الظروف.. وأصعب الأحوال.. وتحت أقسى الضغوط.
وبين برائن الظلم والجور.. حتى ولو التقمنا الحوت.. أو قذفوا
بنا في بطنه.. وغيبتنا ستر الظلمة والعزلة.. وابتلعنا الأسرار
والحصون.
تابعت التلاوة..

﴿وقال الذى اشتراه من مصر لامراته أكرمى مشواه
عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولذا، وكذلك مكنا ليوسف فى
الأرض﴾

استوقفتنى العبارة :

﴿مكنا ليوسف فى الأرض﴾

أحذتني الدهشة.. تبدو غريبة بعض الشيء.. كيف تأق بعد
عملية البيع والشراء. حقاً أنقذ من البئر.. حفظت حياته.. لكنه
صار عبداً..

كيف يكون التمكن فى ظل العبودية - فى هذه المرحلة على
الأقل من حياته وقصته - حتى ولو ترفق به السيد الذى اشتراه..
وأوصى به زوجته لتكرم مشواه.. هذا الفتى الواعد النضير.. سليل
شجرة النبوة الساطعة.. ابن نبي الله يعقوب.. وإسحاق.. وجده
الأعلى إبراهيم - كان أمة -

أين بنا إذن فى هذا الموقف بالذات من الرفعة والعلو والتمكين؟
ولكن الذى يبدأ القصة، ويتابع فصولها وتدرج الأحداث الدرامية

فيها.. يجد انه في مواجهة الموقف العصيب.. تم المواجهة - والمحن معلم عظيم - يدور الصراع ويتحدد الاختيار.. وبذلك يضاف إلى رصيد الشخصية من القوة والصلابة والالتزام بمبدأ الحق.. فيكون «الخروج» أكثر قدرًا وتألقًا وحكمة، ونصل إلى قمة التطوير وذروة التنوير.

يجب ألا نعيش على ظاهر الأمر فقط.. ونصل إلى نتائج سريعة ساذجة ونقول أين التمكن له في الأرض وقد صار عبدًا.. إنه التصعيد في الموقف الذي بدأ بوصول العبد إلى مصر وتراوده التي هو في بيتها عن نفسه.. وتحيط شبانها حوله.. ووعد المتعة والنعم.. وبرغم الفرصة السالحة يتأبى.. يقاوم.. يستعصم.. يقرر ألا يخون، ويهتف من أعياقه «السجن أحب إلي مما يدعونني إليه»

ويكون السجن هو وسام الاستقامة والعفة.. يخرج السجن عن معناه.. ويكون الحرية والاختيار.. يرتقى إلى مكان للعبادة ويكون علوًا في التضحية.. ومنزلا للتقوى وقوة الاحتمال.

إذن تخمض الموقف عن مفاجأة.. تبيات الأسباب بمرور القافلة.. وتم بيعه في مصر.. وكل ما لقيه بعد ذلك ما هو إلا تدريب وتمهيد لينال المكانة العالية.. ويمن الله عليه ويمكن له في الأرض..

انتقلت الأحداث الى مسرح جديد.. مكان يلعب دور البطولة وسط العالم.. وبين أرجاء حضارة عريقة مشعة على الكون. يجعل الحدث البسيط الذى يقع فيها، لا يقتصر أثره على البلاد بل يمتد ليصل إلى أبعاد شاسعة.. وقبائل متفرقة.. ولقد اتخذ البطل موقفًا فائقًا.

وهو تمكين له بالفعل.

نحن فى وسط القصة تمامًا.. وعنصر التشويق يعمل فى تنوير بصيرتنا.. والرغبة فى اكتشاف الحكمة واستلهاها العبرة يدفعنا لتتبع حركة الحدث وأثر ثموه وتطوره..

فى مواجهة السجن.. موقف جديد ينبثق عن قصة الموقف الآخر..

ثبتت براءته لكنهم رأوا أن يضعوه فى السجن حتى ينسى الناس ما كان بشأن الفضيحة والخيانة.. وتكف نسوة المجتمع عن التشدد بالحكاية.. وكف الأفواه أن تلوك سيرة امرأة العزيز.

يوسف فى مواجهة تجرية السجن - كما لم يعانها أحد من قبل - هو قلب الخوت.. وحوله ظلمات فوق ظلمات.. ظلمة الليل والقهر وجوف السجن. ألقى به نسيًا منسيًا.. لا يذكره أحد.. ولا تم له محاكمة أو خروج..

قذفت به السلطة إلى الداخل السحيق.. وراء الجدران

الصياء.. لا أحد يسأل عنه لا أحد يحب.. وحيد منق بين ضحايا
الطغاة وعتاة المذنبين.

لو وقع لحظة في هوان الوضع.. وذلة المطاف.. لو استسلم
للحزن ومشاعر الشفقة على النفس.. إذن لانهار وانكسر وأحاط به
حقاً كيد الخائنين. لكنه رأى الوجه الآخر من العملة التي بين
يديه.. تحول إلى الضفة المقابلة من التجربة.. عبر للرؤية البعيدة
الزاهية..

درس الموقف بعناية.

تقرير حالته يقول إنه يواجه ظروفًا خارجة عن إرادته - وإن
كان اختار الموقف الحق الذي هو جدير به.. والتزام جانب الأمانة،
وقيم التضحية، ومجاهدة النفس والخطأ..

حق النجاة كتبه الله على نفسه - سبحانه -

مصيره بين يدي من رفع الميزان.. ويقدره من يبدئ ويعيد..
الباعث الشهيد، يحیی بوار الأرض والناس.
القيوم.. من يدبر الأمر.

إذن ليس أمامه إلا أن يصبر.. ويتق.. ويعمل صالحًا.

(نعني الصبر الخصب الذي لا مجال فيه للشكوى أو الأنين..)

ومثله الإشفاق على النفس.. إنما يحوله الإنسان إلى طاقة عمل.
وتزود بالقوى.. وجمع شتات النفس.. واستجماع أدوات الجهاد،
ورسم منهج الانتصار).

- الصبر الحصيب، معناه الخروج من سجن الخنة إلى الاهتمام بالآخرين، وبما يجرى حوله من أحداث.. ورفض الظلم والضميم، والاعداد ليتحول ميزان القوى.. واحتمال الشدة حتى نأخذ بأسباب القوة.. ومحاولة نفع الآخرين ووضع المشكلة الخاصة في إطارها العام مع قضية معاناة الناس. حول السجس إلى مركز تدريب وإعداد.. ساحة للمعرفة والتعبد والاكتشاف.. مسرحًا لعمل خلاق.. ومنبرًا لدعوة التوحيد.. معملًا للتعليم وتحسين الأداء. حاول أن يوقظ عقول السجساء.. من هبطت أرواحهم إلى الخضيس.. عانوا الظلم والقهر.. أو ركنوا إلى المذلة والخوف.

دعاهم للتأمل والتدبر وأعمال العقل والتفكير ﴿أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾.

عمل بينهم.. كسب ثقتهم.. فتح أمامهم باب الأمل والتوبة والرجاء.

حتى أحلامهم وهواجسهم النفسية، اعترفوا له بها، وطلبوا تفسيره وتأويله.. ورؤياه المستقبلية لهم.

- كان التطبيق العملي للعلم النابع من نور الإيمان.. وعظمة التوحيد.. وهداية العقل والدين..

وهكذا تداعت مع ذكره صفات العلم والحكمة.. وسراعة التصور ودقة البيان. ولما رأى الملك حلمه العجيب - أن سبع بقرات سمان

يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات.. ونادى في
المدينة :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رَأْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾
لم يفلح الكهنة او الندماء.. ولا السحرة ولا الوزراء.. وقالوا
أضغاث أحلام.. وهو اجس منام..

وتذكره صاحبه في السجن.. وتفسيره للحلم الذي رآه.. وتحققه
بعد ذلك.. وهرع إليه برؤيا الملك.

- استطاع يوسف ان يحل رموزها.. ويحل الشفرة الكامنة
فيها.. ويستخرج الإشارة الموحية -

(وهبه الله نوراً وعلماً ونفاذ بصيرة.. كان يحلل الحلم من منظور
واقعي.. ويبيد تفسير الرموز على أسس علم الاجتماع ودورة الاقتصاد
وأحوال الناس) وثبت لديهم صدق فراسته.. عمق نظرتة.. واقعية
تحليله.. وسعة علمه وخبرته.

﴿وقال الملك انتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه
قال إنك اليوم لدينا مكين أمين. قال اجعلني على خزائن
الأرض إني حفيظ عليم. وكذلك مكنا ليوسف في
الأرض..﴾.

وكذلك أعيد تكرار الآية مرة أخرى..

﴿مكنا ليوسف في الأرض﴾

يأتى تكرار النعمة الرئيسية.. لتؤكد المعنى.. وتنبه إلى يقين الغلبة والانتصار لمن يلتزمون بمنهج الله..

ومن منا يخرج من السجن إلى قمة الحكم والمسئولية.. لم يهزم داخل الأسوار، ولم يتمزق من العزلة والحصار..

مكن له فى الأرض حقاً.. لأن ساحة المحنة اكتسب منها المزيد من القوة الروحية.. وصفاء الذهن.. واللياقة النفسية.. والإعداد لما يلزم لإقامة العدل بين الناس..

خرج من السجن مرفوع الرأس على الطمة.. عميق الخبرة.. اختار موضعه بعناية ودقة.. قال اجعلنى على خزائن المال.. وهو حفيظ أمين..

(أى أنه وضع نفسه.. الرجل المناسب.. فى المكان المناسب.. فى الوقت المناسب أيضاً) يعلم بخبرته ودرايته أن الاقتصاد أساس الحكم.. وإدارة شئون الناس.. قاعدته الأولى كانت عدالة التوزيع..

مارس تحقيق العدل والحق والمساواة.. «ولكل كيل بعير» ليس للمواطنين فقط بل الجيران والدول القريبة والمحيطه، وكل من يطلب العون من مصر والغوث من القحط والبوار والجوع.

هى نظرة إنسانية تشمل الجميع.. صدرها من مصر - قلب العالم - وقبله الجميع. وهو كيل يسير على مصر.. مع تقديمه الإخوة والصدقة وإكرام الضيف والإشراف الدقيق على التنفيذ.

ذلك لأن العدل يصلح الجميع .. والعدالة تترنو إلى ازدهار إنسانية الإنسان.

(لم يخترع مبدأ التبعية الغذائية والتبعية الاقتصادية مثل هذه الأيام) بل صدر من مصر قواعد الحق والعدل .. وقوانين المساواة والإخاء .. بشكل لم تشهد الدنيا له مثيلاً - وحتى هذه الأيام.

هدف القصة يتضح إذن ..

من العبارة البليغة المكثفة ..

عندما يواجه المؤمن حدثاً فوق طاقته .. خارجاً عن إرادته ..

محنة ابتلاء عظيم .. عليه ألا ينهار .. يهن أو يذل ويقبل المساومة وفتنة المراودة عن النفس والكرامة ..

يبدأ بتحليل المشكلة .. معرفة جوانبها المختلفة .. يقيس موقفه

بمقياس الدين .. بحرية الاختيار التي وهبها الله له وعلمه المنهج والبيان ..

يصبر ويبقى ويعمل صالحاً ..

حتى في أسوأ الظروف لا يتسوانى عن أداء مهمته .. وبين

الناس - وهو يفكر فيهم يمكن أن يستلهم حركته .. ويكمل عدته .. ويكشف الطريق الصحيح.

الحلم المشترك !

قالت الصغيرة :

« من أحب صفات أبي أنه - يحلم معي -
وتذكرت كيف كان يصغى لخيال طفلته .. ويعيش معها ومضات
حلمها .. ويهدف إلى عالم البراءة والنقاء .. والرؤى البهيجة الواعدة .
كان يقول : الأسرة تعنى حلمًا مشتركًا .
حقًا .. الأسرة لا تعنى مجرد أشخاص يعيشون معًا .. ويلتصق
وجودهم بين صيغة الزمان والمكان .
قوام الأسرة أن يكون لها « حلم مشترك » .. يعيش بين جنوبيهم ..
وتسعى أعمالهم وتفكيرهم لتحقيقه ..
« حلم » يصنع على أعينهم .. ويوحد بينهم .. يخفف معاناتهم ..
ويوثق روابط المحبة بينهم ..
أروع تعريف للأسرة
لها بالكم بأمة !؟
الأمة ليست مجموعة افراد .. يعيشون متجاورين .. فوق أرض

واحدة.. لكنها «حلم مشترك» يوحد الجهود.. والفكر.. والعمل.
دنيا قادمة من أجل غدنا ومستقبل أجيالنا.. جهاد ليوم نحقق
فيه الخير والعدل للجميع..

والا فلننظر لحال أمة تفرقت فيها السكلمة.. واستبدت بها
الأهواء.. وجنحت بسفينتها عوامل الشراهة والأنانية والجشع.
نجدها وقد تفتت قواها.. وفقدت الارتباط والألفة.. وشاعت
الفرقة والأنانية.. وعم الفساد.. وضاعت بين أهلها الثقة..
سقاء.. وعذاب أن تعيش مجتمعاً تغلب فيه المنافع الشخصية
على المصلحة العامة ويتبدد فيه نسيج الوحدة.. ودفاء المشاركة.
ونظرة إلى تاريخنا القريب والبعيد.. نجد أنه ما اجتمعت الأمة
والتفت حول أحد أبنائها أو أبطالها. إلا أنه يمثل لهم «ذلك الحلم
الجماعى الجميل» ويعبر عنه.. ويسعى فى مقدمتهم لتحقيقه..
تلك هى الشرارة المقدسة التى تنطلق فإذا الأمة كلها رجل
واحد.. وإذا الجهود موحدة.. والعمل متسق ومتصل من أجل
تحقيق الهدف..

كذلك الشعوب كلها..

كذلك تبع الناس الأنبياء والصالحين.. لأنهم كانوا يجسدون «حلم
الإنسانية كلها»..

حيث يعيش الناس فى سلام ومحبة.. وحرية واسعة.
والإنسان يوجد وقد زوده الخالق العظيم بتلك القدرة الفائقة على

«الحلم» .. قوى نورانية تجعل عيونه مشدودة دائماً إلى أمام .. لا يكف عن البحث .. والاكتشاف والتقدم ..

والعالم يدين للحالمين العظماء .. الذين تصاعدت نظراتهم إلى السماء .. وفوق الماء حيث يحلمون بجسوم طائفة تحمل الإنسان وتصله .. وفلك تجرى في البحر بما ينفع الناس ..

وفي كتابنا الكريم يخاطبنا الله تعالى على أننا «أمة» .. ويؤكد لنا ضرورة وحدة الأمة .. وارتباطها وتكافلها أيضاً ..

يقول تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ
أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾

الخطاب هنا موجه إلى « الأمة » بأسرها ..

والنهي فيه عن سفك دم بعض .. وإخراج فريق منا من ديارهم أو أوطانهم .. فجعل دم كل فرد من أفراد الأمة كأنه دم الآخر .. وكل تشريد من الديار والأوطان يقع فيه التيه والضياغ فوق رأس كل منا ..

يقول الإمام محمد عبده : « هذا التعبير المعجز يبدى الأقوام للأمم إلا بالتحقق بما تضمنتها هذه الحكم .. وشعور كل فرد أن نفسه هي نفس الآخرين .. ودمه دمهم - لا فرق بين الروح التي تجول في بدنه والدم الذي يجري في عروقه، وبين الأرواح والدماء التي يجيا بها إخوانه » .

والحجة قائمة إلى الأمة الإسلامية - المخاطبة بالقرآن - بالعمل
بهذا الميثاق وتطبيقه حتى ينصلح حالنا. ولا ننفي داخل ديارنا..
ونفقد إيماننا وأمننا..

ونحن أمة العرب.. هل يجمعنا «الحلم المشترك».. ويوحد
بيننا..

لقد أهدرنا «دمنا» وسفكنا دماء بعضنا.. وشاهدنا بعيون
باردة.. أو «محروقة» خروج بعضنا من ديارنا.. وتقتيلهم
وتشريدهم.. وأسر الآلاف من أسرنا وأبنائنا.. صارت أحلامنا
«هزيلة».. وسقيمة..

وتفشى وباء النفعية والانتهازية.. وأكلنا أموال بعض.. وحقوقهم
بالباطل.. فهل نعود - كما أرادنا الله أن نكون -..

قوم عدل وخير.. نقيم قرآنا.. ولا نجعله مهجورًا بيننا..
ونشق فيه من الأوثان المتفشية بيننا.. ونسعى بالعمل الصالح..
حتى يسطع حلم الحرية والإنسانية بيننا..

يمشى فى الأسواق

أنصت للتلاوة..

الشوق يمد بى.. نفسى حاضرة السمع.. تعلقو إلى الدرجات
العلا.. تتدرج فى الارتفاع إلى النور المقروء.

استوقفنى المعنى فجأة.. تنهت بشدة.. عجبت للمنطق
الغريب.. يلوون عنق الكلمات.. لياً بالسنتهم عن صدق البيان
والوضوح.. تبدت الحجة شاهدة.. واستوت الآيات بينة.. وسطع
الحق قائماً - وبنفسى أنت يا رسول الله - وهل كنت إلا بشراً
رسولاً -

ماذا يقول الظالمون عن الكتاب.. الفرقان.. الهدى والنور..
بشرى القلوب المؤمنة، وتبيناً لكل شىء وتثبيتاً للأئدة.
يقولون افتراه.. أو هو نوع من التأليف الجماعى بأعانه عليه
قوم آخرون».

و «أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه»

﴿ وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق ﴾

ربما استمعوا إليه لو أنزل معه ملك.. أو امتلك كثراً وجنة..
عميت بصيرتهم حتى أشاروا إلى موطن العظمة فيه.. إلى منسقة
الجلذب التي شدت للجميع إليه.

هو إنسان بسيط وعظيم في الوقت نفسه.. يأكل الطعام..
وأحياناً لا يجد ما يأكله أو يقدمه لآل بيته.. ويمشى في الأسواق..
بل ويزيد على ما يقولون «ابن امرأة تأكل القديد».

لم تختلف حركته.. ولم يعزل نفسه عن أحبائه وأصحابه الذين
آمنوا برسالته.. لم يتغير طبعه عندما أتاه نصر الله وكتبت للمسلمين
الغلبة والفوز.. ظل كما هو كأنه القلب النابض لجماعة المؤمنين..
قلب الخلية الأولى الحية في العمل والأداء.. في الحركة والسلوك.

لم يئأ بنفسه عن الجمع أو يحيط نفسه بالحراس والأتباع.. ظل
«بردته» الوحيدة ونفسه السمحة.. وتفانيه في إبلاغ الرسالة..
والقيادة.. وإدارة أحوال المسلمين.

هو نفس الفتى - الصادق الأمين - الذي كان قبل المهمة
النيلة التي اضطلع بها.. والذي كانت تلجأ إليه قريش في خلاف
المترفين بها.. ومزايداتهم المظهرية.. فيحل لهم النزاع ببساطة..
وحسن روية.. وتلقائية في التفكير، سليمة ومستنيرة.

بهذه المقومات الإنسانية النضرة.. والنهج المعتدل والأسلوب
السيط من العيش، اكتسب محبة الناس وتقديرهم.. وأهلته لأن يقود
أروع ثورة تحرير في تاريخ البشرية.. وتبقى الرسالة ساطعة إلى
الأبد.. ونموذج الإنسان فيه فائقاً.

هو أمل البسطاء والكادحين.. المعذبين في الأرض.. ممكن أن
يرتفع الإنسان بنفسه.. ينفض الذل والهوان.. تملؤه رسالة التوحيد
قوة وثقة.. يصوغه الإسلام، وأياً كان موقعه من الحياة.. يكتسب
العزة والجلال.. ويعيش حياة طيبة.. مليئة بقيم المجاهدة والسعي،
وتحسين الأداء والعمل الصالح. لقد تحققت المعجزة.. وهي قائمة
حتى يرث الله الأرض ومن عليها.. رأينا كيف بعثت أمة من
جديد.. وكيف صارت حضارة ومنازة.. استجاب لدعوة الحق في
البداية، العبيد والإماء والمستضعفون في الأرض، آمنوا.. فعلت
قاماتهم.. وأشرقت نفوسهم بنور الإسلام.. والتزموا منهج القرآن..
صار كل منهم كتيبة.. جيشاً بأكمله.. أمة..

لم يشعر الواحد منهم أنه فرد.. بل إنسان في جماعة المؤمنين..
قوة داخل كيان هائل للمجاهدين.. طاقة لمحرك النور.. ووحدة في
البنیان المرصوص.

صاغهم الإسلام من جديد.. وحد بينهم.. طبع أسلوب
حياتهم.. أصبحت الحياة أكثر نبلا وعدلا.. تذوقوا معنى الإخاء
والحبة والمساواة.

وبنفسى أنت يا رسول الله ..
أنت فينا الأسوة الحسنة .. والقُدوة العظيمة .. ولدينا الكتاب
والحكمة .. ومع ذلك تدهورت أحوال المسلمين وانفطر عقدهم ..
عندما اتخذوا القرآن مهجوراً .. واشتروا بآيات الله تمناً قليلاً . واعتقد
البعض منهم أنهم مركز الكون، وأن العظمة تأتي من كثرة الاتباع
والحراس وجماعات المنتفعين، والقصور والحلى وأسباب الترف الكثيرة .
يعيشون عيشة أفراد .. يترصون بالكسب من أى اتجاه .. ولا
يعيشون كأمة واحدة .

العظمة الحقيقية تتبع من أن يملك الإنسان نفسه، لا يتركها تتبع
الهوى وتركن إلى من يزينون السوء حسناً .. العظمة تكمن في النفس
في تقوى الله .. وعدم الاستكبار .. في الوقوف بجانب الحق
والعدل .. الخلاص كله أن نقيم القرآن .. يكون نهجنا .. وأسلوب
عملنا .. وخلقنا ..

الرسول عليه الصلاة والسلام .. هو عظمة التطبيق والالتزام
بالعقيدة السمحة - خلقه القرآن -

السماحة والمشاركة وحب الآخرين والعمل من أجلهم .. والسبق
في الخيرات والعقلية المستنيرة .. والقياس بمقياس الدين . وإقامة
ميزان العدل - إعمال العقل ترك الأثرة والفردية المقيتة ..
ترك هوس التعصب والغلظة ..

مفردات الشخصية الإنسانية النضرة .. من الود والحنان، والاهتمام

والمشاركة والرغبة في نفع الناس.. أعلى من كنوز الدنيا ومطعم
الترف وأدوات الاستعلاء.

ماذا كانوا يريدون من الرسول..

أن يأتي جباراً إلى الأرض.. من الملأ الأعلى.. يعتو عتوا
كبيراً..؟ أم إنساناً عذباً.. رقيق المشاعر.. يجادل بالتي هي
أحسن.. ويشاورهم في الأمر.. ويحفظ العهد والسود.. ويعان كل
لحظات الخاض للدين الأكمل.. ويحتمل الشدة ويصبر.. ويضرع إلى
الله بالدعاء.. «الدعاء الخصب» وهو موقن بالاستجابة.. لأنه يعمل
مثل الجميع ويشق الخندق معهم.. ويحفر في الأرض.. ويعد
العدة.. ويدير الخطة.. ويسهر على الإعداد النفسي والروحي جنود
الحق.

«أمل بديع» يظل مشعاً كل زمان ومكان.. أمل عظيم
للبيضاء.. عمل الإنسان هو ما يقيمه ويحدد قيمته.. به يسمو
ويحقق وجوده.. ويؤدي مهمته.

وصفه الله سبحانه وتعالى «سراجاً منيراً».. وأفسح لنا
- سبحانه - المجال لترفع بالتقوى إلى منزلة نورانية ريانية كبيرة..
أن يكون الواحد منا سمياً.. بصيراً..
نور نهدي به في أيامنا العسيرة.. مرتفقاً نصعد إليه ونفر من
هوان أيامنا.

ثمّ دج أمثل للمعذبين منّا.. البسطة الكادحين.. الطريق إلى
الرفعة والسمو واسع وفسيح جدًّا.. لا يملك أحد أن يعطله ويحول
دونك.. متاريس الأرض وصواعق الزمان.. لا تهدم الطريق أو
تعرقله.. طريق يقف على قمته الرسول القدوة الإنسانية..

كان ناضجًا وواعدًا وهو فتى صغير.. الصادق الأمين وهو راع
بسيط.. يأتي ذكره بالخير والانبهار في كل مكان.. ويدخل طيب
ذكره إلى الدور والنفوس.. والصادق القوى الأمين، وهو يعمل
بالتجارة ويتنقل بين القبائل.. ويسرعى حقوق الآخرين.. وينمى
أموالهم.

ثمّ وهو المعلم والقائد والرسول..

(هل كان الراعى الفقير يقتدى به ويضع أسلوبه في عقله
وقلبه.. ويستعفف بالآيات في حوارهِ مع الحجاج.. عندما دعاه على
تأفف منه للطعام.. وتعرفون ما الحجاج - الخطيئة والعورة بين
حكام المسلمين - كلمات الراعى كانت تقطر حكمة واستقامة وبيانا
وتفصيلاً :

« دعاني الذي هو خير منك - إنى صائم - ما عند الله خير
وأبقى.. هل أفطر اليوم وأصوم غدًا؟.. أو يضمّن لى الأمير أن
أعيش إلى غد.. »

ما الذى يجعل أسلوب الراعى الفقير مترعًا نقرأ.. زاهيًا ويفهم

الحجاج الطاغية..

أسلوب هذبه الإسلام.. وصاغته الساحة والعفة وحلاوة المجاهدة
في سبيل الله.)

إن مقياس الثراء والترف - مقياس فصلك لمعرفة أقسار
الرجال..

المقياس الحق عمل الإنسان..

العظمة الحقيقية أقامها الرسول..

مجاهدة النفس.. القدرة على الاحتمال.. كظم الغيظ.. دراسة
الموقف.. للجماعة دائماً.. وعمل تحليل للموقف.. وحسن الإعداد..
ودقة الاختيار ثم تأتي مرحلة العمل.

ويتهوى منطق الجهلاء..

لو كان له من السماء ملك.. لقالوا إنه يقدر على أشياء لا قبل
للبشر لها.

حتى منطقهم يتهوى عند مناقشته وتفنيده..

ولو كان ملكاً.. لقالوا إنه أهل للسمو والتفوق عليهم.. إذ أن
طبيعته وقدرته تعلو عليهم كثيراً.

هو الجدل إذن ما يرجون.. والاختلاف هدف في حد ذاته..
ويذر بذور الفتنة والانقسام.

قاتلهم الله - كانوا قومًا بورًا -

هم القوم البور حقًا.. إذ. يتركون ما يمكن إدراكه ببساطة..
بوضوح رؤيته والمنطق الفطرى السليم.. ويزرعون منطلقًا زائفًا..
يحسبون أنهم بمكرهم سيحددون الناس جميعًا.
بدر مثل الأرض الخراب لا يحى موتاها المطر.. وتظل خامدة
هامدة حتى بعد أن يُنزل الله عليها من السماء ماءً ظهورًا..
جذباء تصرخ بعارها..
وهم أيضًا.. أمامهم الآيات البينات.. والحق الواضح ومع ذلك
يستمرون فى الخداع.

النبي العظيم، كان بسلوكه الإنسانى، وصفاته المحيية، عامل
جذب وموثرًا للاستماع للدعوة، والدخول إلى دين يتساوى فيه
الناس.. والإنسان يقدر فيه بما يعمل وما يحققه من عمل نافع..
ويتبادلون الإخاء والمحبة والمشاركة.
يصبحون قوة.. جمعًا.. بعد أن كانوا عبيدًا.. أرقاء..
منبوذين.. أو أفرادًا متفرقين..

أحسوا بدفء الانتماء.. وحرارة المشاركة.. وصيغة الجماعة..
وقيمة العدل والمساواة.
كان الأثرياء بالطبع يقاومون خوفًا على ممتلكاتهم وامتيازهم..
كان نزع الشيطان يعمل بينهم.. كيف يتساوون مع الإماء والعبيد..
والرسول يمشى لهم فى الأسواق..

يدعو لدين الحق.. دعوة لتحرير الإنسان.. انطلاقه من العبودية والخوف والمهانة..

من ذلته أمام أصنام وأحجار لا تنفع ولا تقدر ولا تغنى عنهم شيئاً.

حرية كاملة للإنسان..

يمشى في الأرض.. يقرأ.. ويسمع. ويعى ويتأمل.. ثم يختار لنفسه الموقف الجدير به.

هكذا بدأت رحلته.. لا يقتنع بعبادة الأصنام.. يدير وجهه إلى السماء.. كان يعد نفسه لأمر عظيم..

تدريب شاق.. وصيام.. وعكوف على التدبير والتأمل.. يبني نفسه وينمي قدراته ويعتقد أن أمامه مهمة كبيرة.

- كان يصنع على أعين الله

ولمحن نستطيع أن نقفدي به. ونبدأ في التدريب والإعداد.. وبناء أنفسنا ومجتمعنا.. الصياغة بخلق القرآن من جديد..

وبذلك نتحول إلى قوة.. جمعاً.. طساقة خسلافة.. ومحركاً للتاريخ.

إياك نعبد وإياك نستعين

كنت أدرس بعض لمناهج عن الأداء المسرحي.. والخاصة بتدريب الممثل.

تتلخص التجربة في المعمل الفنى على اكتساب القدرة على التركيز، والسيطرة على إيقاع التفكير والوسائل النفسية والجسدية، بحيث تتوافق الحركة الداخلية مع سائر الأعضاء والجسد..

- يسمح الممثل للدور أن يتخلله.. ويحيا الشخصية بصدق، حتى ليهب نفسه تماماً ويقدمها كل ليلة للمشاهدين.

وهو بذلك يخرج من حدود فرديته إلى صيغة جماعية.. ويحيل اللحظة المحدودة إلى لحظة إنسانية زاخرة.

والفنان هنا بقدر ما يبني نفسه ويثرى من قدراته ويحسن أسلوب عمله.. بقدر ما يسعد بالتجاوب مع الآخرين.. والمشاركة معهم وتنمية متعة الفهم والإدراك لديهم.

ويشعر بعد العرض أنه أكثر حكمة ونضجاً.

قلت لنفسي:

يحتاج الممثل والعازف، إلى هذا النوع من التدريب الممتع الشاق، حتى يكتسب تلك القدرة غير المحدودة، على الحب والتأثير والنفوذ داخل النفس البشرية، وإلغاء المسافة الزمنية بين الإحساس الداخلى والحركة العضوية خارجه.

كل هذا التدريب المعملى وتمرين اللياقة البدنية والروحية.. والصبر وحسن الإعداد.. من أجل توصيل معنى.. الكشف عن قيمة إنسانية وثقافة حياة لتزدهر في قلوب الآخرين وعقولهم.. وتدفعهم إلى مناقشة أحوالهم إلى الرغبة في التغيير والتقدم.. إلى اتخاذ موقف.. والنضال من أجل حياة إنسانية أفضل.. ومعيشة أكثر عدلا ونبلا.

أحسست بغيرة دينية شديدة.
فما بالك بالإنسان المسلم.. وعليه أن يدعو لدين الحق.. ويلتزم في سلوكه وعمله وأسلوب تعامله مع الآخرين بشريعة العدل وصبغة القرآن.

يمكن للفرد المسلم أن يتحول إلى «أمة».. قوة.. طاقة عمل مشعة.. وجهد فائق يسعى للوحدة مع مجتمعه وإصلاح الأحوال.
لماذا لا نقوم على تربية أنفسنا بالقرآن؟
والأمر جاء بإقامة الصلاة..
(ذروة التدريب النفسى.. وفرض الإعداد واكتساب اللياقة..

والقوة الروحية.. والتدرج إلى صيغة الوحدة مع الجماعة. والسعى إلى
«كلية» نورانية عالية)

ونحن نصلى في اليوم خمس مرات..

لحظات على مدى اليوم.. وحدتنا الزمنية المتاحة والمعجزة التي
تتكرر وتوضع بين يدينا من جديد كل صبح.. رأسمال يغدق علينا،
ومؤشر «الحساب» يسجل كيف كانت حركتنا وفيما أنفقنا اللحظات
والثمار وذرات العمر ودورة الأيام.

فكيف لا تكون الصلاة معملنا الروحي.. ومكان وزمان انطلاق
إلى عملية التطوير والتغيير والانضاج.. وتكون الصلاة وسيلتنا
لتحسين الأداء.. والتدريب على التفتح الإنساني والعقلي.. ورباطة
اتصال ومودة.. وشحنة دافعة لإعادة الوحدة بينا والناس. وجعلها
أسلوب عمل وحياة.

تدرب أن نعطي الحركة العضلية فيها مضمون كلمات الله..
ونعيد صياغة أنفسنا بها.. وتوافق الإيقاع الخارجى مع يقظة الروح
الداخلى وفعل الترتيل والسعى إلى التقدم والارتقاء.
تشغلنا صغائر الأمور.. وهموم الحياة، حتى لتنفذ داخل
الصلاة.. وتقع لنا عن يمين وشمال ولا تدعنا نتحرر منها لحظة
المثول بين يدي الله.
وبذلك يترد من الدهن.. ويضع التركيز.. ويفرغ الركوع

والسجود من معناه، ويتحول إلى تحرك عضلي مجرد.. «وتأفل» الروح
برغم الصلاة.

قلت لنفسي..

ولماذا لا نبدأ من جديد.. ونقيم «معملنا» للتدريب على المستوى
الخاص والعام.

نعقد العزم على التدريب.. ونؤدى التمارين العقلية والنفسية التي
تكسبنا اللياقة، لإقامة الصلاة وتصل بنا إلى التفوق والازدهار.

- وما الحياة الا مسرح كبير.. وهى دار امتحان وبلاء..
والتقدير فيها يكون على حسن العمل.. ودقة الأداء، والالتزام
حدود الله.

الصلاة هى الأساس..

قدرها الرحمن خمسَ مرات.. بين الإصباح.. ووقت الظهيرة..
والعصر.. وحين الغروب.. وعند المساء.

وحتى تستمر دورة التحسين.. والتقدم.. والتفوق والإتقان..

لنظل اليوم عاملين.. متقين.. ملتزمين بقسم السدين.. والخلق
الحسن.. وطهارة النفس والبدن والحواس.

ندخل إلى المثلث بين يدي الله..

وإن هى إلا لحظات.. ونقوم إلى اللقاء..

(كيف لا نجعل الصلاة تتخللنا.. ونهب أنفسنا تمامًا إلى الله..

ونصر بوعى وإدراك على التقدم.. والارتقاء)

تأملت الموقف من جديد..
يجمع الإنسان في الصلاة بين شيئين..
الخضوع التام وقمة الإحساس بالقوة..
يحس المرء بمنتهى الخشوع والتضرع.. وذروة مشاعر الثقة والعزة
والخشية والرغبة.. وغاية التحرر.
الاستعانة بالله.. ونبذ الخوف من سلطان الطغاة.
يحدث الواحد ربه كفرد.. ويناجيه بصيغة الجماعة.
الصلاة عمود الدين..
والفاتحة فيها العباد..
تتكرر كل ركعة.. وحتى نقضى على التشتت.. والسهو
والنسيان، علينا أن نتمثل الكلمات.. جعلها تتخللنا - تلك السبع
المثاني من الآيات - وبذلك ندخل إلى جوف القرآن.. إلى حمى
الطاعة والاستعانة والهدى والشفاء.
نحرق أنفسنا من الغوص إلى الصغائر والمشاعر الضارة ونزغ
الشیطان. نتحرر من توافه الأمور.. ورواسب الأنانية وضيق الأفق
والهفات. نحصل على فسحة من التركيز.. الصفاء والانتباه..
نصغى إلى التسبيح.. نحس بالرفعة والرغبة في احتضان
الكون.. نخفت كل الضوضاء..
ونقف بحضرة الله.. معه.. نلتحم بدعوته.. نسجد له سبحانه
نقدم أنفسنا تماما.. نهبه إياها.. يعيدها إلينا مليئة بالنور.. مشحونة

بطاقات مبدعة، ونتمى لدينا متعة التفكير والتدبر والعكوف على حل الصعاب والمعوقات.

هذا الدخول من وإلى الصلاة.. وإقامتها ينضج النفس.. ويرقى الوجدان.. ونظل في التدريب حتى نملك أمر أنفسنا.. وغلاً الصراع داخلنا.. ينمو الفكر.. يمدفنا إلى السلوك الصحيح.. ونحقق أنفسنا.. ويكون سعينا إلى مزيد من العمل الصالح، والإنتاج النافع، وتحقيق الخير والازدهار.

(الفاتحة) تجمع في إيجاز عميق جوهر الدعوة والمنهج والطموح. نبدأ فيها بذكر الله - الرحمن الرحيم - نحمده ونثنى عليه.. له الملك والحساب..

﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ تلك هي النعمة الأساسية للالتزام.. موثق وعهد.. نقيمه ونؤكد ونلتزم به . عبارة موجزة.. مكثفة.. عميقة المعنى..

العبادة لله وحده.. ﴿إياك نعبد﴾، التخصيص له وحده ﴿وإياك نستعين﴾، الاستعانة به في كل أمر.. لنكون كحكمة خلقه فينا.. في أحسن تقويم.. صالحين.. نافعين.. متقين.
هي القلب - من أم الكتاب -

حتى وأنت في داخل دارك.. وبزاوية صيقة داكنة.. تصلى بمفردك.. لكنك تدعو ربك بصيغة الجماعة.. بلسان المؤمنين.. أنت فرد حقاً.. وأنت جمع أيضاً..

هنا حددت موقفك .. وعرفت منهجك .. واتخذت موقفاً . تبغى
الاستقامة والطريق المستقيم ..
حددت اختيارك - الهبة التي منحها الله لك، وفضلك على
العالمين.

أدركت وجود الطريقتين ..

طريق الاستقامة وطريق الضلال.

تختار ..

اخترت .. فالزم.

لذا تدعوه سبحانه بصيغة الجمع .. أنت عضو في حزب الله ..
جندى بجيش الحق .. ومجاهد داخل كتية النضال.
من حقت أن تضفي هذه الجماعية على نفسك.
والله يعلى من قدرك أيضاً، ويخاطبك من خلال المؤمنين.
روح الفريق هي التي تدفعك للحركة السليمة واتجاه التقدم ..
« وإقامة القرآن » تقدم لنا الحل لمشكلات الحياة.
والترية على القرآن تبني أمتنا من جديد.

وكان أبوهما صالحا

كان نموذجًا فائقًا من الإيمان الثابت والراسخين في العلم.
حياه الله بسطة في الجسم والعقل ولسان صدق وحكمة..
أعجبنى منطقته.. يقول: وأين تذهب الحسنات الطيبات من العمل.
تدخر لنا في السماء.. تسجل في كتابنا.. وهى ميراث الأبناء في
الحياة الدنيا - ومن بعدنا.

في قرينتنا يقولون دائماً.. اعمل خيراً وألق به في البحر.. (النيل
البديع يدعونه بحرًا.. وروافده)

تأملت هذا المثل.. حقاً دورة الماء لا تلبث أن تعود إليك من
جديد.. محملة بالخير والأمل.. والمزيد من العطاء والثمنا.. وتجدده
- الخير - أمامك حاضرًا.

وإن طوتك صفحة الزمان - وجاء موعدهك - فلإن ابنك من
بعدك - إن كان صغيرًا ضعيفًا - أو اشتد عوده، وتعمل صالحًا..
فهو يورثه ويناله أثر سعيك المستقيم.. وثمر غرس يديك.. ويدركه
الحصاد رايًا.. وهو ميزان الحق والعدل.

نتاج الحرث الطيب والزرع .. حتى ولو كانت كلمة طيبة
لا تليث أن تنمو في حقل عملك شجرة طيبة .. ثابتة ..
ويثبتهم الله بقول الحق والذكر الحسن.

وجاءتني الآية بالبشرى .. عندما تبع موسى العبد الصالح
- الذى آتاه الله من لدنه علماً حذره أنه لن يستطيع معه صبراً -
وموسى يؤكد أنه سيجده إن شاء الله صابراً ..

فمن يريد أن يتعلم ويعرف فلا بد أن يصبر .. ويتأمل كثيراً ..
ويتدبر الأمر .. ومعنى فى الاستدلال والبحث
وصار الرجل يأتى بأمر غريبة ومثيرة حقاً .. بدايات لا تنبئ عن
نهايات صحيحة أو حكيمة.

هنا لم يطق موسى صبراً - وكيف يصبر على ما لم يحيط به
خُبراً - بل لقد نفذ صبره .. ولم يحتمل رؤية الأمور تكاد تكون
مقلوبة والتصرف يأتى عكسياً .. مناقضاً لطبيعة الخير والصلاح . وأخذ
العبد الصالح فى التفسير .. وتحليل الواقعة تلو الأخرى .. وإبراز
جوانب أخرى للموضوع كانت خافية، بحيث يستقيم الفعل وتتبدى
معقولية الحل .

هو درس لنبى الله .. ودرس لنا .. وعبرة ..
يجب ألا تأخذ بشواهد الأمور .. بل علينا أن نتمعق فى الفهم
وننظر من كل جوانب المسألة ..

قد تبدو الحكمة عابثة علينا .. أو غير منطقية .. ولا منسجمة

مع بدايتها والهدف من الإتيان بها..
ولكن عندما نتمعم الموقف أكثر.. ونقيس بمقياس المصلحة العليا
والنظرة البعيدة الشاقبة، التي تستشرف النتيجة الخيرة بدل مظهرية
الحلول والنفع قريب المدى.. يتبين لنا الأفضل.. وجوهر الحقيقة
أكثر هذه مرحلة..

ومرحلة أخرى أعلى درجة وبقيناً.. هو الأخذ بأن كل ما يأتي
من الله فهو خير.. ما مدنا نعمل صالحاً ونقيم الدين ولا نتعدى
حدود الله.. فحتى لما جاءت النتيجة على غير ما نتوقع ونظن..
فلا بد أنها خير.. وأراد الله لنا فرجاً ومخرجاً.. وفرقاً مبيئاً..
علينا أن نجاهد أكثر.. ونتعلم ونتدرب حتى تبين لنا الحكمة
وتجلى الصورة.. أو يمدنا الله بأية مبيئة.

العبد الصالح وموسى أتيا قرية لثيمة.. أبت أن تضيفهما أو
تطعمهما..

وفي طريق الخروج.. جائعين متعبين أتيا جداراً يريد أن ينقض
فأقامه.

هنا ثار موسى.. ولم يسكت عند الغضب..
قال ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ هنا مجرد الرؤية
المسطحة للواقعة.. لماذا العبد الصالح.. يقيم جداراً يتداعى..
ويسند حائطاً يخر عليهم.. وهم أهل سوء وقوم بور لا يستحقون..
وأبوا أن يلقوا إليهما بكسرة خبز تسد ألم الجوع.

وتجيء الآية بالبشرى وتفصيل ما حفي من حكمة..
﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان
تحتة كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغنا
أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن
أمرى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا﴾.
هو الثراء الحقيقي إذن.

والذى ادخر لهما.. هو ميراث السماء.. ورعاية الله لسذرية
ضعاف - كان أبوهما صالحا -

إذ يهبى لهما الأسباب.. ويحفظ كنزهما - ويسوحى إلى العبد
الصالح أن يقيم الجدار، فلا يصل إليه أحد من الأشرار والمستعدين
وأكلة أموال اليتامى.. وحقوق الغير..
- حتى يبلغا أشدهما - ويكتشفا الكنز..

فإن سارا على نفس المنهج القويم والعمل الصالح.. نمت الثروة
وريت..

وإن سلكا الطريق الآخر.. ضل سعيهما.. فالاختيار يبقى قائما
أبدا.. والعمل الصالح يأتى ثمره حتى ليحصن الصغار الأبرياء.. هو
لنا الخير والثواب.. ونعيم الدنيا والآخرة.. وهو رصيد لأبنائنا من
بعدنا يحفظه الله إليهم حتى يبلغوا الرشد ويتحمل كل منهم تبعه
عمله واختياره.

وهو ليس الكنز المادى فقط تحتمت الجدار.. أو صرة النقود

والعملات، بل هو كنز حقيقى من عند الله لأبنائنا من بعدنا..
حناناً من لدنه ووداً.. ويجعل لهم آية..
وأفئدة من الناس تهوى إليهم..
ويجعل لهم نوراً.. ورزقاً.. وسلطاناً نصيراً..
فأى ضمان.. وطمأنينة واستثمار لعملنا الطيب وسعيينا النافع
للناس.

لمن المودة؟

كانت الآية واضحة مهرة بـأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة*، ومع ذلك لا نتدبر القرآن.. ولا نعي عاقبة التحذير الإلهي.. ونسر إليهم بالمودة والابتسام لأعداء الحياة.

لما يسكت عنى الغضب.

وقد استمعت إلى أنباء عن أمتنا العربية.. تبثها إذاعات بعيدة منذ اللحظات الأولى من الصباح.

اشتعل القلب غيظًا.. وانتفضت على يوم حارق تشوى فيه الجباه والصدور.. تصاعد مد الغضب.. تحمل أسباب ربح عقيم - تجعل كل شيء - وتعبير القرآن الكريم - كالرمم!

لما جاء في الذكر «تذكرت».. استعدت بالله مما نحن فيه. تمالكت نفسي..

الله واسع عليم.. واسع التصرف والقدرة عليم بوجوه الحكمة.. أمرنا أن نتدبر كلماته.. نبصر بها.. نقيس الواقع والماضي.

تتمدد رؤانا إلى المستقبل الرحيم.

هى بيان لنا.. وشفاء.. وهدى ورحمة..

« التلاوة ».. بها نهدأ ونستريح..

نزداد سعة من العلم.. وبسطة فى الفهم.. وتنقلنا المعرفة إلى

مرحلة العمل الصالح.. والفعل الجاهد..

ويعمل الله لنا « آية ».. ونورًا.

- كتاب فصلت آياته - من لدن علم خبير..

- نتلوها بقلب سليم - وقد جعلها ربى « حقًا ».

﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ
وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَتُولَوْهُمْ
وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾.

سبحان الله.. أتريد وضوحًا أكثر من هذا.. وحكمًا وعلماً؟

ترى هل نسير ضد سنة الله ونتخذ كتابنا مهجورًا.. وسولى

وجهتنا الاتجاه الخطأ.

ما الذى يجرى على مسرح الوطن العربى الآن.

المذابح.. وقطع دابسر الفلسطينيين، وتحريق لبنان.. ووآد

الفدائيين.. واستئصال المجاهدين.. سحق النخبات والبيوت مجدراتها

ونسائها وأطفالها..

أخرجونا من ديارنا.. وأبنائنا وأموالنا..

ورفضوا أى اعتراف بالحقوق.. أو الأرض.. أو الانتفاء

فلماذا نلقى إليهم بالموذبة .. ونبرهم ..
ونعقد لهم في المغرب العربي مؤتمرًا .. يتم تحت شعارات التسامح
الفكري والديني .. وروح الحضارة .. !

هل وصل بنا الأمر بالتزييف حتى على أنفسنا ..
نستر الحقيقة الموضوعية لما يدور .. ونعلن للناس شعارات
مزيفة .. ومسميات غير حقيقية نتجح مع الأهواء ..
إن الأمم إذا قهرها عدوها .. وبكل بها .. واستبد في الاستهانة
بقيمها .. وعمل على تصعيد عمليات الإرهاب والانتقام .. أفسد
مكانتها وجعل من أرقامها «برورًا» وناسها «خشبًا مسندة» لا
أشخاص حقيقيين .. تغلب عليهم الذلة والمهانة والخزي والخذلان ..
إن الحد الأدنى من الموقف السوابج اتخاذ هو القطيعة أو
الصمت، وهو أضعف الإيمان ..

أما أن نحتفل بهم ونقيم المهرجانات ..
ويعم ذلك على أرض إسلامية، نكون بذلك - كما وصفنا الآية
- من الظالمين .. الذين ظلموا أنفسهم وضلوا هداية المطرة
السليمة .. وخالفوا الشرع المستقيم ..

ينهانا الله عن ذلك السلوك .. ويصمنا «بالظلم» وهو سبحانه
حق وعدل لا يحب المفسدين ..
وقد جاء التساؤل القرآني أيضًا ولم لا نقاتل وقد أخرجونا من

ديارنا وأبنائنا.. وكانت القصة القديمة عن قوم أخرجوا من ديارهم
وتم سبي أبنائهم..
فأى شيء يقعدهم عن القتال.. وهو جهاد في سبيل الله. ومس
يدود عن الحرية.. والكرامة والحمى.. ومستقبل الأبناء.. يجاهد في
سبيل الله.

وإن كانت تعوزنا الإمكانيات المادية الآن.. فلا يجب أن تنقصنا
الروح.. أو العمل الصالح والإعداد.. وحسن التربية والأداء.
المجاهدة للفساد.. والمذلة.. والهوان على الناس. تحت نير الظلم
والاستبداد. لا تصير «فروسية» أن نقيم اللجان والمؤتمرات.. ونعطي
لهم فرصة أن يزعموا ببناء «السلام».. وهم حرب على السلم
والحياة. لا نستطيع أن نسمى أنفسنا متحضرين.. ومتسامحين.. وهم
يمثلون بنا ويقتلون أبناءنا.. ويسلبون الأرض التي وهبنا الله إياها..
قضية فلسطين بمثابة القلب في أمة العرب.. حرجنا معهم..
وتشردنا بين دروبنا.. وتساقط منا الشهداء والأبناء.

وهنا يأتي دور المصلحين.. والمؤمنين حقاً.. والراسخين في العلم
وعليهم أن يهبوا إلى خطر الاستكانة.. وتزييف الحقيقة.. وخداع
تصوير الواقع.. عليهم أن يثبتوا ويجاهدوا بقيم الدين والتزام الحق..
علينا واجب إعادة إحياء روح الأمة.. وبث روح الشجاعة
والإقدام.. وتأدية الشهادة.. والاستشهاد في سبيل الله.

لنجعل قلوبنا الله ومرضاته.. وجهادًا في سبيله وذلك يكتب لنا
النصر والعزة..
لقد أعطانا الإسلام قاعدة أصولية في طريق العيش.. وتدبير
شئون المجتمع.
ونهانا عن المذلة والخذاع.. والابتعاد عن صبغة الله. ومحاولة
فرض ذلك من منبر قوة.. أو منصة سلطة ونفوذ.. وتبين لنا في
كتابه وآياته الكبرى دليل الرشيد من الغي.

ومن ذريتي

أحب الدعاء

يستقيم به قلبي ولساني.. يتجدد به عقلي ويومي ووجداني..
يتصل بالعزف الداخلى.. يحرك قوى كامنة.. ويطلق فى النفس
طاقات الخير.

يومض نوراً فى الحس.. ويخلق نوعاً من الحدس الغنى..
ويوجد حالة من الجلاء البصرى والرؤية المستقبلية.
الدعاء يشحذ الإرادة.. ويفجر الرغبة فى العمل.. ويؤكد سبيل
الانتصار.

(الدعاء لا يمثل ضعفاً أو استكانة.. وإحساساً بالعجز.. بل هو
سلاح للمواجهة.. وتدريب وإعداد للنفس.. وأخذ بأسباب التفوق
والفوز.. وتزود بالتقوى وخلق القرآن)
إحياء بالغبلة والثبات.. وتثبيت للخطو والفؤاد.
هو المناجاة.. والبث إلى الله.. تطهير النفس من الروع والجزع
والمشاعر الضارة والإشفاق على الذات.

إعلاء للهمة .. وتصعيد للقوة .. وراحة وامتعة وإشراق .. محاولة
الخروج من القدرة المحدودة إلى سعة الواسع .. وقدرة العلم .. القرب
من الله .. التثبيت بجبله المتين .. التطلع إلى الميزان .. الالتزام بقيمة
العدل والصلاح .. التدرج إلى مراحل الأنس والود والحنان ..
الدعاء يتطلب طهارة القلب والكسب .. وعفة اليد واللسان ..
نظافة الثوب والبدن - حتى نوقن بالإجابة - .
تمرينات عقلية وروحية .. عمل وسعى وجهاد ..
وسيلة لإعادة تقييم الموقف .. وبيان تقرير عن الحالة .. وبذلك
ينمو فعل الدعاء .. يعيننا على التطور .. التحول .. والاكتشاف ..
يتنزل علينا بردًا وسلامًا ..
يعود لئمسك بزمام أنفسنا .. نستعيد السكينة .. وترتفع بعسة
الطمأنينة نصبح قادرين على القياس والمنطق .. وتبين الحال ..

أدعو بالعشى والإصباح

يبحر في دورة الدم - يتنزل إلى قاموس البحر في الأعماق .. يللم
شغاف الخلايا .. يوقظ مراكز الحس والأعصاب .. تتفجر النواة ..
تنطلق قوى الحركة الصحيحة والأداء ..
الرحمن علمنا القرآن .. علمنا البيان .. طلب أن ندعوه فهو
قريب ويستجيب .. أتلو الدعاء القرآني الجميل .. أقتدى برسول الله

عليه أفضل الصلاة والسلام (وهو المصطفى.. وهو القرآن في التطبيق والخلق والعمل والجهاد - هو الرسول - مبشراً ونذيراً.. وسراجاً منيراً - ويدعو الله أثناء الليل وأطراف النهار - يشعر بحاجة أن يشكو إلى الله.. يديم عليه نعمة الحمد والشكر والثناء.. يتلو الدعاء في السجود والركوع والقيام وحين المنام.

يقود أعظم ثورة في الإصلاح والعدل والتحول في النفس الإنسانية والكون وإعادة الوحدة بين الناس.. والفتح في طريق العمل والسعي وحكمة الخلق.. ويتهل بالدعاء).

صارت هواية ومتمعة لى.. التدرب على الدعاء.. جعله على النسق الحكيم. وترتيب السياق.. النفاذ إلى جوف الكلمات.. والاحتفاء برحم الحب والحنان.

أقوم بعملية بناء.. وتجربة معملية موصولة بعلم السميع المحيط. أحدد موضع الألم لدى.. نوع المعاناة.. نسب الاحتياج.. أستدعى ذات اللحظة من قلب الآيات.. من قم «القصص الحق»..

وأنظر كيف تمت المواجهة.. وتطور الموقف.. وماذا جمع له أولو العزم من الرسل - وما كان السدعاء - أصوغ دعائى من جديد.. أجعله رايياً.. مواثماً لمقتضى الحال.. وملائماً لما أنا فيه.. أتبع أمر «قل» إذا صلعنا سؤال.. أو ألقى إلينا بمحاجة. - ونجى.

الآية بالبشرى - أجدها حاضرة.. شاهدة.. تومض بالكشف..
تبرق بالمعرفة.. ترسم فرجًا ومخرجًا.
أرفع صوتي.. أو أخافت به.. أتابع الشدو والنشيد..
أقيمه صامته فيدير «المحرك الداخلى» وتستجيب لحركته سائر
الأعضاء.. - أجعله يتخللنى - أهب نفسى تمامًا للكلمات.. أصل
إلى مرحلة التشبع.. وقفة التصور والتجسيد.. والتركيز.. وامتلاك
اللحظة الإنسانية.. والسيطرة الكاملة على كل الأجهزة
والانفعالات.. وتبرق الحلول ويبين أسلوب الأداء.

أحب دعاء خليل الله إبراهيم عليه السلام - (لا يكاد يخلو
سجود لى من دعاء على نحو ما كان يفعل ويقول: أشعر بذلك أنى
أدخل منطقة الظل الظليل.. تحتوى شجرة النبوة وارفة الثمار..
نحتمى من تفاقم الصراع.. ونيران الحريق.. وهيب المعاناة
والمحاجة.. وهجير الكيد والمكر والدهاء.

فى لحظة نسكن إلى الظل.. ونركن إلى النجاة.
أحب قصته وهو فتى نضير يقلب وجهه فى السماء.. تنمو فى
قلبه بكرة التوحيد بظفرته السليمة - يقول: «لأحب الأفلير»
الشمس والقمر - إذ لا بد للكون من إله واحد بديع.. كامل..
ويتقن كل شىء صنعًا.
قصة حياة رائعة تصنع فصولها - على أعين الله - ويوسعنا

وتحت ضوئها.. أن نتوقف بقصتنا كل حين.. ونجدد أسلوب العمل والحياة.

استوقفني خاطر جميل حقاً.

هذا النبي.. يدعو دوماً - بصيغة الجمع - يرى نفسه «جمعاً».. ويرجو الله ألا يذره فرداً - يسعى إلى ذات كلية.. يسأل الله تعالى أن يجعل بلده آمناً.. ويرزق أهله من الثمرات.. ويجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم. كلماته «تضم».. تنظم الناس في عقد فريد: تمدهم برباط المودة والحب والرزق الوفير.. والقلوب المتألفة..

يחס بنوع من «الوسع» والأبوة.. والمشاركة الإنسانية الحقة. في كل مناجاة له الله.. يطلب الرحمة والمغفرة والخيرات للناس.. للمؤمنين.. لقومه - ومن ذريته - يحب الامتداد والتموؤ.. والغلبة.. ووحدة الأمة والجماعة - كان أمة قانتا لله حلياً.. (جعل الله شجرة للأبوة والبنوة حقاً.. ودعاه الخليل).

﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين﴾.

هكذا يأتي الحديث الرباني على نسق مركز وسريع.. صور مكثفة.. مجسدة. موحية.. توقد الذهن وتتنفس حياة. لم يقل لنا سبحانه «الكلمات» ولكن المهم بالدرجة الأولى أنه

«أتمهن».. أقام كلمات ربه على أحسن وجه. وأكمل أداء.. جعلها أسلوب حياته وعمله.. أنجز المهمة.. ومارس ما كلف به.. (قد تكون هي دعوة التوحيد.. أو الابتلاء بالشدة) لكن نقطة الانطلاق في الجملة والتصعيد نحو غاية الحديث هو القرار.. والإخبار يجعله إمامًا للناس - ولم يقل لنا أيضًا أن الاختبار كان بسبب إتمام الكلمات - ولكننا نفهم أن الذي يجاهد ويصبر ويسعى للمعرفة والعلم ويتقن عمله كان يتأمل ويفكر.. ويلتزم بالاستقامة والعمل على نفع الناس.. والصمود أمام العقبات والسوان الشدة والعنت جدير بالاختيار.. والاصطفاء.. والتقدم والرفعة وتحمل المسؤولية.. ومكان الريادة للجموع.. وإمامة الصفوف.. والطلیعة في مسيرة النضال. لما جاءت البشرية إبراهيم.. في ظل الفرح الغامرة.. وقمة الرضا.. وتمام الحمد.. وإدراك تبعه المهمة الجليسة هتف على الفور:- ومن ذريتي -

عرف الرسالة.. وتقبل التكليف.. وانشرح صدره لرضاء الله.. واتمكين له في الأرض، وسأل بكل العرفان والخشوع.. أن يجعل من ذريته أئمة أيضًا. (ليس ملكًا يورث.. ولا ترَفًا يسعى إليه.. أو جاهًا ومكانة.. لا يسأل من أجل أن يتمتعوا بالعلو والثراء..). بل لأنه عمل أشد وأكبر.. ومسئولية أضخم.. وطريق أرحب للقربى من الله، والعمل لكسب رضاه.. والجهاد في سبيله.. والمزيد من الخضوع والتقوى وتحمل الابتلاء بالحكم والرئاسة.

هى المسئولية المتصلة بالله - وذلك هو المجد والشرف والعزة التى يريدنا للموهوبين من ذريته - لا بد لرسالة التوحيد من دعاة أبرار.. ومناضلين أشداء - هى الامتحان بالتمكين فى الأرض.. والابتلاء بمنصب الراعى الإمام أو الأمير.. والتى تعلى من قدر الإنسان وذكره.. إذا جعلها عدلا وتقوى.. والتزاماً بحدود الله.

المسئولية المتصلة بالله التى تجعل من تولى الأمر خادماً للقوم.. وأكثرهم قدرة على التضحية وإنكار الذات.. والاهتمام بالآخرين والسهر على رعاية مصالحهم وأحوالهم.

كان يتسم بالحكمة.. والخلق الحسن.. ويلتزم بأدب الدعاء.. (لم يقل - فى ذريتي - بل قال: ومن ذريتي)

فهو يعلم أن الذرية لا تكون صالحة كلها - أو جديرة بتحمل الرسالة.. وشرف الدعوة.. وتبعة المسئولية. (منهم محسن وظالم لنفسه مبين)

هو لا يسأل من أجل أن تتمتع بعض الذرية بأهمية الوضع او علو المكانة.. ومركز الصدارة من القوم.. بل يطلبها للمختارين الذين يقدرون على تحمل الأمانة.. ويحملون التبعة ويكونون أهلاً للمسئولية والقدوة الحسنة. هو يرجو لهم حلوة العيش النبيل فى ظل رسالة مقدسة..

حياة فاضلة فيها التزام بالحق وإقامة للعدل والأمر بالمعروف بين الناس. أدرك أن «الإمامة ليست منصباً» لكنها أسلوب حياة..

وطريقة عمل وجهاد فهتف بالدعاء بصوت يقطر حنوًا ومحبة.

﴿قال لا ينال عهدي الظالمين﴾

أجاب الله سبحانه سؤال إبراهيم - بأن يجعل من ذريته أئمة -
تواصل فيها دعوة التوحيد..

- الإجابة ضمنية - ولكن التنبيه.. والحقيقة المؤكدة - العهد
لا يناله الظالمون - هذا هو الأساس..

وهي الفكرة الرئيسية.. والفضيلة الأولى..

من يظلم لا يصح أن يكون «إمامًا».. ولو كان من بيت
نبوة.. وصلب أنبياء.. ودعوة بظهر الغيب لخليل الله - إبراهيم.
إذا كان من الذرية.. ومن السلالة.. ومن الجذور الطيبة من
يظلم نفسه.. ويأخذ بأسباب الاستكبار والإسراف.. يريد العلو في
الحياة الدنيا.. أو جاء بسلوكه شبه ظلم وانحراف.. فهو لا يصلح
للعهد..

وتلك تذكرة.. ونهى مؤكد.. وآية بينة لبني إبراهيم.. وأبناء
العالمين.

من يريد إعداد نفسه لمهمة كبيرة أو يتصدى للمسئولية العامة
وإدارة شئون الناس.. يجب أن يظهر نفسه من كل ظلم.

شرط الإمامة والقيادة والرئاسة ألا يكون المرء «ظالمًا».

من يريد أن يصل إلى مكان الرفعة والعزة والمحبة من قلوب

الناس، فليذهب عنه خطيئة «الظلم» - الظالم لا يصلح لتسوية منصب الإمامة -

- العدل - جواز المرور.. وزورق العبور إلى العزة والجلال والثناء ومحبة الله والناس.

العدل يصلحهم.. ويصل ما انقطع.. ويقرب بينهم.. ويجعل صلة مودة ورحمة.. قربي ومشاركة.. ويعتدل الميزان.

وهي قاعدة أساسية وهامة في تربية النشء والسذرية.. وبناء الإنسان والشخصية.

- الحق والعدل - القاعدة التي يجب ان يكبر الأبناء عليها.. ومنها تنطلق حركتهم وسعيهم..

القيمة التي تفرس في قلوبهم.

وذلك يثمر «التوحيد» في جوف الإنسان.

- لا ينال عهدي الظالمين -

نقولها لهم.. نرددها بينهم كل حين.. نتلوها عليهم.. نجذبهم في اتجاهها نجعلها - نجمة ميناء - ومرفاً للإبحار والوصول.

(موجزة العبارة.. بليغة ومركزة.. كأنها جرعة دواء وشفاء..

حبة نادرة للتداوى والعلاج.. خير حصانة ووقاية - وأشد تثبيتاً -)

الظلم هو المانع من منصب الإمامة..

- ويأويل من يستعملون عمالهم وولاتهم على الأقاليم والقرى

والحدود من الظالمين.

- لقد حذرهم الله نفسه -
الحق بين.. والصحيح معلن.. والشهادة واجبة.
كيف تولى الأمور لمن يظلمون؟
هى مسئوليتنا جميعاً - ورثة عبادة التوحيد - أفراداً وجماعات.
وكذلك تبين الآية - أو بالقياس عليها - أن من يبررون الظلم
للحكام - يقعون فى بئر الشرك والظلم - (هم وأوثانهم.. والأصنام
من الحجارة والملوك والحكام).
وتحمل اللعنة دوماً على الظالمين -
معيشة ضنكاً لهم - فى الحياة الدنيا.. حتى ولو كان لهم من
الثراء والأبهة والحراس مثل حظ - قارون -
وفى الآخرة يردون إلى أشد العذاب.
فى الدنيا يلفظهم الناس.. ويسقطون من عرش القلوب - حتى
قبل أن ينتزع منهم الملك - وينفض عنهم وعن مجلسهم أولو العلم
والحكماء والمصلحون التقاة.. ويغيب عنهم كل مهابة أو عزة أو
جلال. يعزهم الناس - حتى لو كانوا يلتصقون بالمنصب على أسنة
الرمح
الظالم لا يصلح أصلاً للإمامة - للريادة.. القيادة أو تولى
الأمر.
هو يفسد حال الدنيا والدين.
يصبح وجوده علامة مضللة.. وراية خبيثة.. وقدوة سيئة..

ومركزاً لدائرة شريفة تتسع للفساد والضلال.. وتشمل الأسر..
والمجتمع.. والحياة.
ندعو الله..
نعالج نظم الدعاء.. نمد بيننا والأنبياء والعلماء والمصلحين
والمجاهدين بصلات محبة وقرى
يغمرى الدعاء.. فلا أعود مجرد «فرد».. أنفذ إلى وسع المحبة
الإنسانية.. ودفء المشاركة.. وحرارة اللقاء..
أرنبو لخليل الرحمن..
يدعو «جمعاً».. (كان أمة.. منيباً.. قائناً وحليماً)
نقول بصيغة الجمع.. ولسان الجماعة..
«رب اجعل هذا البلد آمناً وارزق أهله من الثمرات..»
واجعلنا مسلمين لك - ومن ذريتنا».

القوى الأمين

لحظة تساوى عمرا بأكمله ..
فيها تشعر أن حياتك لم تضع سدى .. وغرس يديك قد أينع ..
وأسلوب تربيتك أثمر وربما .. وتجدد بشرًا سويًا.
يأتيك الابن أو البنت يتحدث لديك بصراحة .. يعبر عن نفسه
في مواجهتك .. يبدى الرأي بقوة .. وحرية .. يعلن عن وجهة
نظره .. والموقف الجدير به .. وأنت تسمع وترى .. تناقش بسرور
عظيم .. وتستمتع بالأمر شورى بينكم .
شعور يساوى عمرًا بأكمله .. وحياة ثانية .
حين ترى الأبناء لا تنقصهم الشجاعة والإرادة .. ويسعون في
بناء أنفسهم وشخصياتهم .

هنا تشعر بالرضا - وهو العمل الصالح أيضًا .. وميراث التدين
والإيمان .. قد خلفت ذرية حقًا - وهم ربيعك على الأرض ..
شكرت نعمة الله وبطريقة عملية .. ساهمت في إقامة إنسان ..

قدته إلى إعمال الفكر.. والتأمل.. دريته ليكون رأياً.. ويملك إرادة مستقلة..

تتابعت خواطرى وأنا أسمع الآية عبر الشرفة.. وكأنها موجات أثرية تتدفق إلى حسى.. وتتصاعد أمام بصرى ووعى.

﴿يَأْتِ اسْتَأْجِرُهُ إِنْ خَيْرٍ مِنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينَ﴾
أدرك الأب - النبي شعيب عليه السلام نبرة الصدق.. ولهجة الإعجاب لدى ابنته - كان قد أرسلها تدعو «الرجل» ليجزيه أجر ما سقى لابنتيه. (وصفت الابنة - النبي موسى - بسدقة وأكبار. ضمنت حديثها الإعجاب بشهامته وكرم أخلاقه.. ومسارعته لإعانة فتاتين على سقى الأغنام.. وتلطفه بهما. سعى لها عند ورد الماء.. ثم تولى إلى الظل بحمد الله ويشكر أنعمه.

لم يحاول أن يستغل الموقف.. ويتودد إلى الفتاتين.. أو يصرفهما عن العودة مباشرة.. ودعوتها إلى الظل والراحة وتبادل الحديث.. وهى فرصة مواتية للترويح عن النفس.. والتسلية - وكما يحدث فى مواقف مشابهة -

كان سباقاً لفعل الخير.. أقدم على المساعدة.. وسارع فى تقديم العون.. ثم أوى راضياً قانعا إلى الظل يدعو ويبتهل ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَىٰ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٍ﴾

ببساطة وفصاحة.. وصوت - لابس مغلف بالحياء التلقائى الجميل - والانبهار العفوى.. أشارت إلى قوته.. وأشادت بكرمه

ونبله .. ومتانة خلقه .. إذ دعاها للسير وراءه .. وهى تسدله على طريق البيت - وكى لا يدع لنفسه فرصة أن يلمح قوامها وهيبتها وطريقة مشيتها.

تتبع الأب الحافى ما تقوله البنت .. أحس بمدى الحرارة فى الوصف .. والدفء فى المشاعر والكلمات .. والتأثر بنبل الأخلاق .. وعفة النفس وأمانة التصرف.

« الدقة والاهتمام فى التقرير .. وحسن تقييم الموقف. »

وأراد أن يطمئن قلبه .. فدعاها : ووجد أن ما قالته حقاً .. موسى يستحق بالفعل.

ومنه عرف تفاصيل حكايته .. ونضاله .. وتآمر القوم به .. وفراره من القوم الظالمين - بعد أن دافع عن الحق .. وانتصر له .. وقومه بيده -

(لم يرع حتى أنهم ربوه فيهم صغيراً .. فالحق أحق أن يتبع - وهو أقرب من صلة الدم .. والروابط الاجتماعية .. وأواصر القربى والنشأة والتربية)

- الوقوف بجانب الحق - هو غاية خلق الإنسان .. واحترامه لنفسه .. ومعنى وجوده - (وتلك الميزة الأولى .. والعلامة البينة بشخصية الأبطال .. والشوار .. والمصلحين .. والكتاب .. وذوى الرسائل والمناضلين)

درس الأب الموقف بعناية ..

البنيت معجبة - وصوتها يقطر أملا - تريد أن ينتهى الموقف
نهاية سعيدة.. وموسى يستحق الإعجاب والمودة.. ومنتظره عمل
عظيم.. ومهمة جليلة. لم يكن الأب ليقبل جرأة وشجاعة.. ووضوح
رؤية..

- الارتباط فى صالح الجميع
الأسرة والدعوة..

مستقبل ابنته.. ورباط القربى والصدقة.. ومستقبل دعوى الحق
والعدل. حسم الموقف.. وبلا مناورة أو مداراة طلب منه أن يتزوج
ابنته.

قالتا بصراحة - يريد ليزوجه احدى ابنتيه - التى جاءت على
استحياء - على أن يعمل لديه ثمان سنوات - ومن عنده لو جعلها
عشرا - فلا يريد أن يرهقه..

(طلب مهرها - وقدره - ستكون سنوات عمل.. وتدريب
وجهاد.. إعداد للمواجهة.. ونشر الدعوة.. ومنازلة البغى
والضلال).

وما فيها أن يخاطب الأب لابنته..

مادامت المودة بادية.. وطيب الخلق.. وأصالة السلوك.. والقيم
التي تبني عليها الشخصية التصرف والتعامل مع الآخرين.
لماذا يضع الفرصة.. أو يموه الأمر.. ويدور حول الهدف..
ويتزين الأحاديث ويشد الكلام حتى يوحى للرجل بطلب الزواج.

لماذا لا يكون من حق الأب أو الأم وولى الأمر.. أو الفتاة..
أن تعلن عن رغبتها بكل الوضوح والصدق..
في مسائل العقود والارتباط.. والمواثيق.. والمعهود.. والرفعة في
طريق الحياة.. والمشاركة والمحبة والزواج.. الشجاعة أجدى.. وتحديد
الهدف أكثر قيمة واحتراماً.. ويبقى.. عن الثقة بالنفس والطرف الآخر.
وللقصة دلالة بديعة أيضاً..

الصراحة والثقة لا بد أن تكون متبادلة بين الأهل والأبناء.. الفهم
الواضح المشترك بينهم.. تعويد الأبناء على قول الحق.. وحديث
الصدق.. وتقرير الواقع.. تربيتهم على الاعتقاد أن قيمة الإنسان في
عمله.. موقفه..

تدريهم على الحكم الصحيح على الأشياء.. وممارسة النظرة
السليمة.. والشجاعة في إعلان الرأي.

تقدير الكبير لمشاعر الصغار.. واحترام عواطفهم والعمل على
تكوينهم من أهدافهم النبيلة.. ومن أخذ القرار..

نضياء لهم الطريق بواقع تجربتنا.. ونتيح لهم ما تعلمناه من
خبرات.. ونبذل لهم النصيح ونكون قدوة في العمل والإيمان.

- أين نحن الآن من هذه العلاقات الأسرية الحميمة؟
وإلى أي مدى يعانى الشباب!..

هذه القسوة السائدة في مواجهة إعلان الرأي.. القيود التى
توضع على حرية التعبير..

(أحياناً إذا ذكر الحب.. والرغبة في الاختيار - وحق تقرير المصير.. واختيار شريك الحياة - تمهيد ربح الحرب.. ونشأ الخلاف.. ويتحزب أعداء الحب والحياة).

لحظة لهذه - التي نصت عليها الآية - من أحسن القصص.. من قصص القرآن.. والذروة الفائقة التي وصلت إليها اللحظة المضيئة.. تساوى عمراً بأكمله..

تعنى حياة مشتركة.. سكناً.. مودة ورحمة.. ولقاءً إنسانياً يصنع وحدة اجتماعية سليمة.. متفاهمة.. ويتيح الاستقرار والتعاون وتبادل المعرفة والخبرات في جماعة طيبة.. ومجتمع سليم. قفة علينا بلوغها.. واستلهام الحكمة فيها.. والوصول إلى غايتها.. والقياس بمقياس الدين.

أن يكون «ولى الأمر» هكذا.. مفعماً بالود والحنان والمشاركة الوجدانية.. وإدراك مشاعر الصغار.. أن يكون في معاملته.. وأسلوب حياته قد أقام الدين حقاً.. وأقام القرآن..

(وأقصد بولى الأمر - الأب والأم.. المسئول.. الحاكم أو الإمام) أن يكون هو نفسه ميزانه العدل.. ومقياسه الحق.. لا يستبد ولا يطفئ ويستهو به التحكم بمصير الناس.. ويقرر حسب هواه).

ويكون من ذلك النوع الذى يدرك أن معنى الوجود فيما يحققه
من مصالح الناس.

(العدل يصلح كل الأشياء.. والظلم يعطب الأنفس.. العواطف
والأسرة والأوطان).

ومن جانب الأبناء عندما يستمع إليهم ذوهم.. يشجعونهم على
حرية الرأى. واتخاذ القرار.. يحسون بالأهمية.. بالمسئولية.. بالحب
والانتفاء.

- القوى الأمين -

صفتان لو اجتمعتا فى رجل لكان نعم الزوج.. الصنديق..
الزعيم.. القائد أو السلطان.

ويضرب لنا الأب النبي - المثل.. هو يطرق السبيل الطبيعي
لبلوغ غايته.. - الطريق المستقيم أقرب الطرق - وجسده حقاً -
القوى الأمين - نعم الزوج للابنة..

وعلّمونا فى أسس التربية السليمة أن نكون أصدقاء لأبنائنا..
نتفهم ظروفهم المستقبلية..

وتتعرف على مشاعرهم وأفكارهم.. نحترم اختيارهم - ماداموا
على حق -.. ومن خلال القيم والمبادئ الإنسانية الحقّة.

فأين نحن الآن من ذلك الزمن البعيد؟

ما بالنا - وندعى التقدم والتحضّر ورسوخنا فى العلم والمعرفة
ودراسة أساليب التربية الحديثة.. نبتعد عن الحكمة التلقائية.. ونهجر

القرآن. « الذي يقص علينا أحسن القصص - وسزل ليكون هاديا ومرشدًا ونورا »

ما بالنا نرغم فتياتنا على الزواج من الأثرياء.. من يملكون فقط في مقدمة المكرمين بالنسب والزواج - دون النظر إلى حقيقة الشخصية.. مقومات الخلق والعمل.. دون البحث عن المصدر الحقيقي للثراء.

نحرم نساءنا اختيار (القوى الأمين)، وفرصة المجاهدة في الحياة.. والسعى من أجل إقامة المعيشة.. والتزود بزيادة التقوى والثبات. نزيه لهم طريق الترهل.. وحب المظاهر والترف.. والاعتماد على العبير دائما.

بحرنا الإسلام.. ويضرب لنا الأمثال.. ويعلمنا بطريق الحق.. وأن العمل الصالح غاية حياة الإنسان.. فنأبى إلا أن نكون عبيدًا للمال.. أذلاء للجاه والسيطرة.. والركون إلى حياة الكسل والمظاهر والإثراء من أى سبيل أو اتجاه.

نترك قيم الحب والمودة وطريق الاستقامة والعمل الحلال وأمانة النساء والرجال.

الإنسان لا يعيش بالتناقض داخله.

لا يمكن أن يكون تاجرًا غشاشًا وزوجًا أمينًا..

عاملاً مزيفًا.. ورب أسرة مخلصًا..

كاتبًا يدعو للتقدم والحرية ويخون الأسرة والأصدقاء..

مستولاً يرعى مصالح الناس.. ويأكل هو وذووه المال الحرام..
الإنسان وحدة.. لا يوجد هذا الانقسام الشبكي داخله.
فاختاروا لبناتكم.. وأسركم.. ولشعوبكم - القوى الأمين -
يقوى على العمل والجهاد.. ومقاومة الشر والفساد..
ويؤمن على المسؤولية.. والالتزام والتمسك بقيم الحق والعدل.

فهرس

صفحة

٥	مقدمة	-
١١	لو كان الحر	-
٢٠	له الأسماء الحسنى	-
٢٦	الميزان	-
٣٧	إن فى ذلك لآية	-
٤٥	الوزن يومئذ الحق	-
٥٠	مالكم كيف تحكمون	-
٥٣	مساكن ترضونها	-
٦٣	إن كنتم للرؤيا تعبرون	-
٧٣	الحلم المشترك	-
٧٧	يمشى فى الأسواق	-
٨٦	إياك نعبد وإياك نستعين	-
٩٣	وكان أبوهما صالحا	-
٩٨	لمن المودة؟	-
١٠٣	ومن ذريتى	-
١١٤	القوى الأمين	-
١٢٣		

اقرأ في هذه المجموعة

د . طه حسين	صوت أبي العلاء
د . طه حسين	أحلام شهر زاد
عباس محمود العقاد	في بيتي
عباس محمود العقاد	الشيخ الرئيس ابن سينا
أحمد أمين	المهدى والمهدبة
أحمد أمين	الصعلكة والفتوة في الإسلام
على الجارم	خاتمة المطاف
د . عبد الخليم عباس	أبو نواس
يحيى حفي	دماء وطين
د . زكي مبارك	العساق الثلاثة
د . يوسف مراد	سيكولوجية الجنس
د . أحمد فؤاد الأهواني	النسيان
د . أحمد فؤاد الأهواني	الحب والكراهية
محمد لبيب البوهي	الوجودية والإسلام
د . جمال الدين الرمادى	الأمن والسلام في الإسلام
طه عبد الباقي سرور	الغزالي

أَنور الجندي	الإمام المراغي
محمد سعيد العريان	بنت قسطنطين
د . سامي الدهان	ساعر الشعب
د . عبد الحميد إبراهيم	قصص الحب العربية
محمد عبد الغنى حسن	غرائب الرحلات
إبراهيم عبد القادر المازني	عود على بدء
عباس خضر	غرام الأدباء
محمد فهمي عبد اللطيف	أبو زيد الهلالي
خليل شيبوب	عبد الرحمن الجبرقي
عادل الغضبان	ليلى العفيفة
صوفي عبد الله	نساء محاربات
رجاء النقاش	أبو القاسم الشابي
محمد محمد فياض	جابر بن حيان
عباس محمود العقاد	الصديقة بنت الصديق
د . علي حسني الخربوطلي	الكعبة على مر العصور
علي الجارم	غادة رسيد
د . عبد العزيز جادو	الأحلام والرؤى
د . أحمد فؤاد الأهواني	النوم والأرق
محمد فريد أبو حديد	جحا في جامبولاد
أحمد زكي صفوت	عمر بن عبد العزيز
عبد الستار فراج	نديم الخلفاء

طاغور
طرائف من التاريخ
تيمورلنك
شيخ التكية
المدينة المسحورة

د . جميل جبر
مصطفى السنهابي
محمد محمد فياض
محمد عبده عزام
سيد قطب

١٩٨٧ / ٤٤٥٥	رقم الإيداع
ISBN ٩٧٧-٠٢-٢٠٧٨-٧	الترقيم الدولي

١ / ٨٧ / ٥٧

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

اقرأ

بهذا الفعل الجميل (اقرأ) : تدعوك
دار المعارف إلى قراءة تراث هذه السلسلة
العريقة .. بأقلام كبار كتابنا .. لتعيش
معهم .. كما عاش الآباء والأجداد ..
وتكوّن في مكتبتك موسوعة متفرقة في فروع
المعرفة المختلفة .

وإيماناً منا بأن القراءة هي أقصر
الطرق إلى الوعي والثقافة .. فقد يسّرنا لك
ذلك في إخراج جيد .. وسعر زهيد .

١٠ / ٥٠٧٥٠٣

قرش جنسيه
٣٩٠٠